كتاب شفاء قاضي عياض

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان الغازي محمود خان وقفا
صحيحا شرعيا لمن طالع ونحا كرمه الله
تعالى بالزلفى والحسنى
حرره الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم ∴ صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

قال الشيخ الفقيه القاضي العدل الإمام العالم أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالملك الأعز الأحمى، الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلا ووهما، والباطن تقدسا لا عدما، وسع كل شيء رحمة وعلما،
وأسبغ على أوليائه نعما عما، وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما، وأزكاهم
محتدا ومنمى، وأرجحهم عقلا وحلما، وأوفرهم علما وفهما، وأقواهم يقينا وعزما، وأشدهم
به رأفة ورحمى، زكاه روحا وجسما، وحاشاه عيبا ووصما، وآتاه حكمة وحكما، وفتح به أعينا عميا
وقلوبا غلفا وآذانا صما، فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما، وكذب به وصدف
عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، صلى الله
عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى، وعلى آله وسلم تسليما. أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين
ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين، الذين شرفهم الله بنزل قدسه، وأوحشهم من الخليقة
بأنسه، وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة
ووله عقولهم في عظمته حيرة، فجعلوا همهم به واحدا، ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا، فهم
بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون، وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون، وبالانقطاع
إليه والتوكل عليه يتعززون، لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون.
فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام، وما يجب له من
توقير وإكرام، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر، أو قصر في حق منصبه الجليل
قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل صور وأمثال.
فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا، وأرقيتني
بما كلفتني مرتقى صعبا، ملأ قلبي رعبا، فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول
وتحرير فصول، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم ويضاف إليه، أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة، وخصائص هذه الدرجة العلية، وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر
بها الخطا، ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد، ومداحض تزل بها
الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد، لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال

والجواب من نوال وثواب، بتعريف قدره الجسيم، وخلقه العظيم، وبيان خصائصه التي
لم تجتمع قبل في مخلوق، وما يدين الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق، ليستيقن الذين أوتوا
الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا، ولما أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه،
ولما حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الجياني
حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المومن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا
سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أنبأنا علي بن الحكم عن عطاء
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه
الله بلجام من نار يوم القيامة، فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض، مؤديا من ذلك
الحق المفترض، اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال، بما طوقه من
مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل، وترد بعد حسن التقويم إلى
أسفل سفل، ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا ويذم محله، فليس
ثم سوى نضرة النعيم، أو عذاب الجحيم، ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته، وعمل صالح يستزيده
وعلم نافع يفيده أو يستفيده، جبر الله صدع قلوبنا، وغفر عظيم ذنوبنا، وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا، وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه تعالى زلفى، ويحظينا بمنه ورحمته. ولما
نويت تقريبه، ودرجت تبويبه، ومهدت تأصيله، وخلصت تفصيله، وانتحيت حصره وتحصيله،
ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحصرت الكلام فيه في أقسام أربعة:

القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا، وتوجه الكلام
فيه في أربعة أبواب: الباب الأول في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه
وفيه عشرة فصول. الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا، وفيه سبعة وعشرون فصلا. الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته، وفيه عشرة فصول. الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه
من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات، وفيه ثلاثون فصلا. القسم
الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام، ويترتب القول فيه في أربعة أبواب:
الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته، وفيه خمسة فصول.
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته، وفيه ستة فصول. الباب الثالث في
تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره، وفيه سبعة فصول. الباب الرابع في حكم الصلاة
عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته، وفيه عشرة فصول. القسم الثالث فيما
يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه وهذا

[هامش: اثنى عشر فصلا — خ]

القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم بما بعده والمنجز من غرض هذا
التأليف وعده وعند التقضي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق
قلب المومن باليقين وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام فيه
في بابين الباب الأول يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة
عشر فصلا الباب الثاني في أحواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية
وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه
عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب
ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه
ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب
ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله
وملائكته وكتبه وآل النبي وصحبه واختصرت الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز
الكتاب وتتم الأقسام والأبواب وتلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة
خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مومنين وتصدع بالحق
وتعرض عن الجاهلين وبالله لا إله سواه أستعين

القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل وفقه الله وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من
العلم أو خص بأدنى لمحة من الفهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه إياه
بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الألسنة والأقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه وأثنى
عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل
وأولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا وعودا
والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات
الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها
علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنوارها علينا صلى الله
عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة
مني عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا حدثنا

حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب
حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فا
ستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على
الله تعالى منه قال فارفض عرقا

الباب الأول في ثناء الله عليه وإظهاره عظيم قدره لديه

اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه
وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في
عشرة فصول الفصل الأول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله
تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح
الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي وفقه الله أعلم الله تعالى المومنين أو العرب
أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم
رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب
وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله إلا المودة في
القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه
بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمومنيهم
قال بعضهم أعطاه الله اسمين من أسمائه رؤوف رحيم ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى
لقد من الله على المومنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وقوله تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا
منكم وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام في قوله من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في آبائي من لدن آدم سفاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي عليه السلام خمسمائة أم فما وجدت
فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين قال من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا قال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم
ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم
في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل
طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال أبو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة الرحمة
فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي

في القرآن من كل مكروه والوصل فيهما الى كل محبوب الا ترى الله تعالى يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام حياتي خير لكم
وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية
ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس رضي الله
عنه هو رحمة للمؤمنين وللكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت
اخشى العاقبة فامنت لثناء الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات
والارض الآية قال كعب وابن جبير رضي الله عنهما المراد بالنور الثاني هاهنا محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله
المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب
كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه
من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم عليه السلام وضرب
المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد تبين للناس قبل
كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى
في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله
شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر
قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك
يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل في الاذان قال الفقيه القاضي وفقه الله هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه عليه السلام على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه
للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه
لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة

الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء
جعلت تمام الايمان بذكرك معي وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره مع ذكره تعالى قرن طاعته بطاعته واسمه
باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة
ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد
الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا
ابو محمد عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجستاني حدثنا ابو الوليد الطيالسي
حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى
الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي
هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي
سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على
يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي هل
يصلون راجعة على الله والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا
الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية روي انه لما نزلت هذه الآية
قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله عز وجل قل اطيعوا
الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله في ام
الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن
البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه

حكاه عنهما ابو القاسم الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط
الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير
قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الآية انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الآية اكثر المفسرين
على ان الذي جاء بالصدق محمد قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي
صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى
ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد عليه السلام واصحابه

الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة
وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية
جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه
بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا
الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب قال حدثنا ابو
القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا
البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته
في القرآن انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا
غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في
الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه
والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واجمع به بعد الفرقة
واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
وفي حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده
بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الآيتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكر الله

ذكر الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا
في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا وفضل امته بهذه الآ
ية وفي قوله في الآية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله وسطا اي عدلا
خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا
من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل معنى الآية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه
السمرقندي قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد
ابن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم
وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل التستري هي سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي
الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه
وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة
والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هو افتتاح كلام بمنزلة
اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره
بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع
دون معرفة غايته نياط قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه
الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل وفقه الله يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد

القلب

وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبيا بعد
الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتها ومحافظة لشرايط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بدا بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن
اليه ففي اثنا عتبه براته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي
صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى قد
نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما كذبه قومه حزن فجاه جبريل فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي فقال انهم يعلمون
انك صادق فانزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالى له صلى الله
عليه وسلم والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض
نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد انما
يكون ممن علم الشي ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم
عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرا
لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفرا والكساي لا يقولون انك كاذب
وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا
يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمايهم
فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة
محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقايك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال
ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
اقسم بحياة غيره قال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم
البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف في معنى يس على اقوال
فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر
ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا

احد

سيد

سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
وقال هو قسم وهو من اسما الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن
ابن الحنفية رضي الله عنه يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق
السماوات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين
فان قدر انه من اسمايه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويوكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جا قسم آخر بعده
لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى
عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش
لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا
فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد
خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال لك ما فعلت
فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هولا مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية
وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا
البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه عليه السلام امان حيث كان
ثم قال تعالى ووالد وما ولد من قال اراد آدم عليه السلام فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه
السلام وما ولد فهي ان شا الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم
به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله
بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام
جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل
معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا
الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلته قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطا
في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب
والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل اسم لله وقيل جبل محيط
بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه في تفسير والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن
غير الله وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه
تفجر الايمان

الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده

قال جل اسمه

والضحى والليل إذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله
عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي أبو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة
من كرامة الله له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره من حاله بقوله
تعالى والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده
وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك وما أبغضك وقيل ما أهملك
بعد أن اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن إسحاق أي ما لك في مرجعك
عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه
آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة قال
ابن إسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي
عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار الخامس ما عدده تعالى عليه من نعمه
وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على
اختلاف التفاسير ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمه وآواه إليه وقيل آواه إلى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك إليه وقيل المعنى ألم
يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير
لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة
ذكره بقوله وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام
لأمته صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله تعالى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله والنجم بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها
القرآن وعن جعفر بن محمد أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق النجم الثاقب إن النجم أيضا هنا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت
هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى
وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله جبريل عليه السلام
وهو الشديد القوى ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وأنه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه تعالى على هذا في أول سورة
الإسراء ولما كان ما كاشفه صلى الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت

الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال فأوحى إلى عبده ما أوحى وهذا النوع من الكلام يسميه
أهل النقد والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز وقال تعالى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى وتاهت الأحلام في
تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي أبو الفضل رحمه الله اشتملت هذه
الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الآفات
في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فزكى قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال
فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس إلى قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم لا أقسم أي
أقسم إنه لقول رسول كريم أي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي
متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم أي في السماء أمين على الوحي قال علي بن
عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد هذا
له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل
في صورته وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم ومن قرأها بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء
به والتذكير بحكمه وعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم
الآيات أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية
المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه تعالى بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك لأجرا غير ممنون ثم أثنى عليه بما منحه
من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وإنك لعلى خلق عظيم
قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي
أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك
الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على
فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما
وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا
لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى
قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه

ابلغ من هذا واثبت في باب المحبة. الفصل الثالث فيما ورد من قوله تعالى في
جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل
وقيل يا انسان وقيل حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ونزلت الآية
فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل ولا خفاء بما في
هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ
قال حدثنا ابو محمد الحموي حدثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن
القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله ايضا من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والبر
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل
نفسك لذلك غضبا وغيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون الى آخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي
سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل
به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله
بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته
بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله فتول عنهم
اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا
في آي كثيرة من هذا المعنى. الفصل الرابع فيما اخبر به في كتابه العزيز من
عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص

الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره
في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته
واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن
بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في
محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن
السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله شهيدا
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى ان بعثك
آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان
يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا
قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا
صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم
الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية
قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى
الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء
اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله خاطب الانبياء
باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله
عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه
عنه مكي وقيل المراد به نوح عليه السلام. الفصل الخامس في اعلام الله تعالى
خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين
نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية وقوله ولولا
رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزل وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر
مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأ به العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه

حتى يبرأ كثير منهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم
فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل آخر
حدثنا القاضي الشهيد رحمه الله بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو
الحسين الصيرفي قالا ثنا أبو يعلى بن زوج الحرة ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن أحمد بن محبوب المروزي
ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر
عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين قال صلى الله عليه وسلم أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته
قائمة فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال تعالى إن الله وملائكته يصلون
على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة
والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت
قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله علي وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم
القيامة والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي
صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة
عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير كهيعص أن الكاف من كاف أي كفاية الله
لنبيه قال أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء
تأييده له قال أيدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته
عليه قال إن الله وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وإن تظاهرا عليه
فإن الله هو مولاه الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر
وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من

كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق
أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما
يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال
بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي إنك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة
وكل من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه

فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها
له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم
بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا
والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الآية فعد محاسنه وخصائصه من شهادته صلى الله عليه وسلم على أمته لنفسه
بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه
أي تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغوا في تعظيمه وتوقروه أي تعظموه وقرأ بعضهم
تعززوه بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه
السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام
النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من
العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به
إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود
وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه
برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يعني
بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل
قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد
لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز
وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم
تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز
العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء
والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل
والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر فيما أظهره في كتابه العزيز

من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه

تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه
ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس
وقوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع
الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه منهم نجيا في أمره والأخذ
على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات
ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر
أعلمه الله تعالى بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال إن شانئك
هو الأبتر أي عدوه ومبغضه والأبتر الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال
تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الأول والقرآن
العظيم أم القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما
في القرآن من أمر ونهي وبشرى وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل
سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد وادخرها له
دون الأنبياء عليهم السلام وسمى القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمتك
بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وأنزلنا
إليك الذكر الآية وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس إني
رسول الله إليكم جميعا الآية فقال فهذه من خصائصه وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا
بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة كما
قال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم أي هن في الحرمة
كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له أزواج في الآخرة
وقد قرئ وهو أب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال الله تعالى وأنزل الله عليك والحكمة وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الأزل وأشار
الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلوات عليهما

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال

الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ومكتسب
ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى ثم هي على فنين أيضا منهما ما يتخلص لأحد
الوصفين ومنهما ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب
مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة
حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه
ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على
حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب
الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة
والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة
وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل
الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل
الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار
الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها
وتفضيلها **فصل** قال القاضي رحمه الله إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو
حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بها في
القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل
هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو
والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم
ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة
للعالمين وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم وتأخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة
وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله
وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم
باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء
من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان والنصر بالرعب

ولو كالمطلع على الغيب وكمال الفهم وفصيح الخطاب وأجمل الأخلاق والعصمة من الناس التي بها يجوهر
محتفل وأحيط علمه الأولى بما فيه من العلوم ومفضله الآن على غير الذي ما أعزله في التنزيل الآخر
من منازل الكرامة ودرجات القرب ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها
العقول وتحار دون أدانيها الوهم **فصل** إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة
أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في
تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم
تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي حبي وحبك أنك إذا نظرت
إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع **أما** الصورة وجمالها وتناسب أعضائه صلى الله عليه وسلم في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن
عازب وعائشة أم المومنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض
ابن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله
عنهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى
أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل الأطراف أنور
المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن
يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر
عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه أحسن الناس عنقا
ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء رضي الله عنه ما رأيت من ذي لمة في
حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت شيئا أحسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال
جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له رجل كان وجهه عليه السلام مثل السيف فقال لا بل
مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل الناس
من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة رضي الله عنه يتلألأ وجهه
تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر صفته من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله والأحاديث في بسط صفته مشهورة
كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه

الكفاية

فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب إن شاء الله وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع
لذلك تقف عليه هنالك إن شاء الله **فصل** وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته
عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم
تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة **حدثنا**
أبو محمد سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي
قال أبو أحمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا قتيبة قال حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي
الله عنه أنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا
كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه
يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى
الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا
عرف أنه سلكه من طيبه وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله
عليه وسلم وروى المزني عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة
بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه
وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت له الأرض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك
رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة
رضي الله عنها وأنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا
من الأذى فقال يا عائشة أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء وهذا
الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول بعض أصحاب الشافعي حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى
القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا أنه لم يكن منه شيء
يكره ولا غير طيب صلى الله عليه وسلم ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت
منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان رضي الله عنه دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه صلى الله عليه
وسلم ذلك له وقوله له لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى

الله عليه وسلم وبولها من الناس وبوله منه ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه
صلى الله عليه وسلم في امرأة شربت بوله فقال لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم
الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها
وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم
يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة
أنها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
وعن علي أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست
عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط
فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا فصل وأما
وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية
أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع
دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه
لأول بديهة وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي
رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها
من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه
فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم إني لأراكم
من وراء ظهري ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة زاده الله
إياها في حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى
إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى
الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى
الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم إلى

ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء
وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرئ
الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها ثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد
الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن أحمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن
عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله
لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ
ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من
آيات ربه الكبرى وقد جاءت الأخبار بأنه صرع ركانة أشد أهل وقته وكان دعاه إلى
الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مشيه كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث
وفي صفته أن ضحكه كان تبسما إذا التفت التفت معا وإذا مشى مشى تقلعا كأنما ينحط
من صبب فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع
ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع
الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها
في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه
وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار
وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي
والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال حضرموت وملوك اليمن
وانظر كتابه إلى همدان إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون
عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصدقة الثلب
والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح
وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر
وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة
كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع
الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلاة وكتب لهم
في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق وتأكلوا

الرجز من افرعه الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وفي كتابه لوائل
ابن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط
ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة
واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة
في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه
لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط
واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس
بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى
هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري
حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر
واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد
الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا
يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من
سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم
الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان
احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا
الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات و
عقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله
الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي
وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا
يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا
قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب

من الصحيح

وخير الامور اوساطها

به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي هو افصح
منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى انا افصح العرب بيد اني من
قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي
مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل
لا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم
فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه
ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها
واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله
وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال ثنا القاضي
ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن
سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير
البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من
ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي
الله عنه رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم
ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب
فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنه ان قريشا كانت نورا بين يدي الله
تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق
الله آدم عليه السلام القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله عز وجل الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة
حتى اخرجني من ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو

لا نزر و

ضرورة الحيوة اليه مما فضلناه فعلى قلته اصح من البضل بين قلته وضر البضل
في كثرته وضرره تختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل
حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة ومسبب لمضار
الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على
القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان
كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل
وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على
هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدا وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء
السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما يحتاج الى
الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه
لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال
ابو الفضل الاصبهاني قال ابو نعيم الحافظ قال سليمان بن احمد قال بكر بن سهل قال عبد الله بن
صالح حدثني معوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب المومن اكلات يقمن صلبه فان كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل
قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب
الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف
رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب لا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله
الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد
بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا
امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون
لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا
اكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه
من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي

الشهوة

يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه
وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على
الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب
الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب
وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح
بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه
دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح
به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة
اكثرها نساء يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا
مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري
الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم
غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف
يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى تبتل من النساء ولو كان كما قررته
لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم
انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا
هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها
كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان
لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة
زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من
اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله عن ربه بل زاده ذلك في العبادة لتحصينهن وقيامه عليهن

ان لم تقع كفاية

بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو
وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم فدل أن
محبته لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من أمر دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل
لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه أيضا مما
يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد
ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة في القيام
بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح
له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه
في الساعة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال أنس كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين
خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع وعن طاوس أعطي صلى الله عليه وسلم قوة أربعين
في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم
على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى وقال هذا أطهر وأطيب
ونحوه عن أبي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين
وأنه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة
سرية وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على
زهادته وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بامرأة أوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب
العزيز بقوله إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث أنس عنه صلى الله عليه وسلم
فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش وأما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى
وجيها في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض وكان صلى
الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم
أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت
ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم هون عليك فلست بملك فأما عظيم قدره بالنبوة

بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم بأسره فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح
والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة
لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه
في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى
والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه
ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح
بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في
متصرفاته فجامعه إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني
بالمعنى ولا ممتدح عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه
إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه
ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال
شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض
ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه
وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت إليه
من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك
الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى
به المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده لديني
وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى
قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من
نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام
يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من
حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في الملابس
والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب
والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة

في الطرق وقد ذم الشرع ذلك وغاية التمدح فيه عند الناس إنما يعود إلى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المنزل وسعة المسكن وتكثير آلاته
وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو
حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق
في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العلماء على تفضيل
صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها
وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوءة وهي
المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل
إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في
كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا
وعن علي بن أبي طالب مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في أصل خلقته وأول
فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا
لسائر الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال
عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون أعطي يحيى العلم
بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال أللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث
سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول
لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى
لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ألا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال إن المنادي
عيسى ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في
قضية المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه وحكى الطبري أن عمره كان
حين أوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل
وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد
وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم بعث الله

إليه ملكا يأمره عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم
يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم عليه السلام بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحي إلى يوسف وهو صبي عند
ما هم إخوته بإلقائه في الجب يقول تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية إلى غير
ذلك مما ذكر من أخبارهم وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء
وقال في حديثه لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات
الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله
تعالى لهم بالنبوءة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض
هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتسابها تماما عناية من الله تعالى
كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو
السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل
ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف في هذا هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى
الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن
مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما أصلناه وقد رواه سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة
والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا
نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله

فصل أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه
ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن
والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل
وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإن جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع
مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها

وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة
إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة وإشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف
بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث
عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد
القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت
معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله تعالى وأطلعه عليه من علم ما يكون وما
كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي
إليه **فصل** وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه
الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس
عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا
كله مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له
حتى أسأل العالم ثم ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال واصبر على ما أصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية وقال تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن
عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وإن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا
حلما **حدثنا** القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا نا محمد بن عتاب نا أبو
بكر بن واقد القاضي وغيره نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب
عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه
لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته
وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث
لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه أنه
قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ

هفوة

وشج

لعانا

ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون **قال القاضي** أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من
جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر
صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم
فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في
جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل إن لم أعدل
خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني
فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم
خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية
وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب عليه
فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم
ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه
وعن أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه
أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد
احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له
على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا
من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في
سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه
يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني
عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره
بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله

ويزيده عشرين صاعا لما روّعه فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من
علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده
شدة الجهل إلا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه صلى الله عليه
وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في
الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش
وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكّمه فيهم وهم
لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما
تقولون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون رجلا من
التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فأعتقهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد
سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول
ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك
وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى صلى الله
عليه وسلم

فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد
فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب
نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى
بهذا وصفه كل من عرفه **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله ثنا
القاضي أبو الوليد الباجي ثنا أبو ذر الهروي ثنا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد
بن حمويه بن عبد الله السرخسي وأبو إسحاق البلخي قالوا ثنا أبو عبد الله الفربري ثنا البخاري
ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله
عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل أجود
بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده
وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى
صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال
له ورقة إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف

ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت
على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي
شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخش من
ذي العرش إقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت ذكره
الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد
طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال أنس كان النبي صلى
الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد وعن أبي هريرة أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله
فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا
وقال نصفه قضاء ونصفه نائل وقد قال أبو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة وعلمائهم
العارفين وتكلم في الفتوة على رأيهم في اصطلاحهم في ألفاظهم وهو غاية الكرم
إن هذا الخلق لا يكون كماله إلا للرسول صلى الله عليه وسلم فإن كل واحد في القيامة
يقول نفسي نفسي ويقول هو أمتي أمتي والخبر نحوه ذكره كثير **فصل** وأما الشجاعة
والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منها بالمكان الذي لا يجهل
قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه **حدثنا**
أبو علي الجياني فيما كتب لي قال ثنا القاضي سراج ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد الفقيه
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء
وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله لم يفر ثم
قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا
النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وقال
غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين
الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه
شيء وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر

ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ
باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه
وعن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا
قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي
ابن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم
حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه
وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني
محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك
والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء
والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق الاية حدثنا ابو
محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا
ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان انا عبد الله انا شعبة عن قتادة
سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه
وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا
وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى
انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما
خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة

بالسيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاصي وروي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في
وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة ما رايت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه
صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله
عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة
حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره قال
ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان
ومحمد بن المثنى ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه بقطيفة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما
ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان
صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه
وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه
ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب
صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى
في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه

وسلم يخلي له حتى يكون الرجل هو الذي يخلي له وما أخذ أحد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام
ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم
من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها
إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى
يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام وروي أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي
إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما
وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر
تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه
وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في
الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل** وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين وقال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أعطاه اسمين من
أسمائه فقال بالمؤمنين رءوف رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك **حدثنا**
الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري ثنا عبد
الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو الطاهر
أنا ابن وهب أنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر
حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة
قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض
الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا
فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم
أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من
أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من
ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما
قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله
عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها
إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها

لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج
إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته
أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم
بالسواك عند كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة
لئلا تعنت أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز
في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته
فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة ولما
كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد
أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت
أن أطبق عليهم الأخشبين قال صلى الله عليه وسلم بل أرجو الله من أصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله
أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن
مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن
عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق **فصل** وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء
وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه قال
ثنا أبو بكر محمد بن محمد قال ثنا أبو إسحاق الحبال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو
داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم عن عبد الله
ابن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه ببيع قبل أن يبعث
وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في
مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك وعن أنس كان النبي
صلى الله عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة
لخديجة إنها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها ما غرت على امرأة ما غرت
على خديجة رضي الله عنها لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها
إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأ
حسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد

أن يخرج الله

من الله بمن ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها
ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها
واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما
جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان
احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه
فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السائب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض
ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل
اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى
ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد
وفي حديث خديجة انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك
لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا
ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة
قال نا ابو علي الحافظ قال نا ابو عمر نا ابن عبد المومن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابو
بكر بن ابي شيبة نا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق
عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على
عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد
اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما
انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت
النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في
عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة

شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها
حتى فرغت من حاجتها قال الاخر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف
قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه
وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء
فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا
لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا
تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما
لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم
وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله وعن عائشة والحسن وابي
سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض وكان في بيته في مهنة اهله
يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم
البيت ويعقل البعير وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس
ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك
فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت
السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر
القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله
الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال
صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله

فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين
قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند
بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل
وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم
والله اني لامين في السماء وامين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي

عليه قال ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي
ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية
ابن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا
بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا
غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما
حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب
وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة
قط لا يملك رقها وفي حديث علي في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال
في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكن نبينا
صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ
جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع
ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر
ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى
اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة
فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهمم بعد ذلك بسوء

مس الشمس

فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه
فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال ثنا ابو العباس
الدلائي ثنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد
الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهب
سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد
يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس
في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر
ابن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا
يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا

عمن

لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب
وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر
ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر
ابن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة
كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان صلى الله
عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة
الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة

ثلاثة

عيني في الصلاة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر
بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه
فتوحها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو
يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد
الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا ثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي
قال ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا
ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز
شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا
سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله

أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت
ذو كبر له تخشع وقال إن ربي عرض علي
لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما
اليوم الذي أشبع فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر أن جبريل نزل عليه فقال له إن الله
يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت
فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له
فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا
آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهله من خبز الشعير وعن عائشة وأبي أمامة
وابن عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله
الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة إنما كان
فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتم لي
الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه لحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام أحيانا
على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي
قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي
طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع
وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني
من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم
وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا شهرا
حتى توفي صلوات الله عليه

فصل

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته
فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال نا أبو
القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا أبو عبد الله الفربري نا
محمد بن إسماعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا
هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إني أرى ما لا ترون وأسمع
ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع

جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد وروي
هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية أنه كان يصلي حتى ترم قدماه
فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا
ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهما وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى
نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة وأنس وقال كنت لا تشاء أن
تراه من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث
بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل
عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير أتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل قال ابن أبي هالة كان صلى الله
عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر
الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله
أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة
عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم
من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لأنها
صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم إذ رتبتهم أشرف
الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن الله فضل بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال صلى الله عليه
وسلم إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل
واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي

هريرة رأيت موسى فإذا رجل ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو
رجل ربعة كثير خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن خميص
البطن مثل السيف قال وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كأحسن
ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى
من بعد لوط نبيا إلا في ذروة من قومه ويروى في ثروة أي كثرة ومنعة وحكى الترمذي
عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت
أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها وقال تعالى في أيوب إنا وجدناه
صابرا نعم العبد إنه أواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله ويوم يبعث حيا وقال
إن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله إلى قوله من الصالحين وقال إن الله اصطفى آدم ونوحا
وآل إبراهيم وآل عمران الآيتين وقال في نوح إنه كان عبدا شكورا وقال إن الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح إلى قوله ومن الصالحين وقال إني عبد الله آتاني الكتاب إلى ما دمت حيا وقال
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما
وقال في وصف جماعة منهم إني لكم رسول أمين وقال إن خير من استأجرت القوي الأمين وقال
فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا إلى قوله
فبهداهم اقتده فوصفهم بأوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال
فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى
أمين وقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقال في إسماعيل عليه السلام إنه كان صادق الوعد
الآيتين وقال في موسى إنه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد إنه أواب وقال أولي الأيدي والأبصار
السلام وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف عليه السلام اجعلني
على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني إن شاء الله صابرا وقال عن
شعيب عليه السلام ستجدني إن شاء الله من الصالحين وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال إنهم كانوا يسارعون
في الخيرات الآية قال سفيان رحمه الله هو الحزن الدائم وفي آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله إنما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث
أنس وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمان كان مع ما أعطي من الملك
لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ

الأطعمة ويأكل خبز الشعير وأوحي إليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت
العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وأنت على خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع وأنسى
الجائع وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه
فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يديه قال الله تعالى وألنا له الحديد
أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال
الله وقال صلى الله عليه وسلم أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله
صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما
وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره إلى السماء حياء من ربه ولم يزل
باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده
أخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال أنا أكرم على الله من أن يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر
ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له
مسكين وقيل إن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من
الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
أحب إليهم من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك
فقال أكره أن أعود لساني النطق بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان
يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في
نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله تعالى لما أكرمه
الله تعالى به من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل
الأخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده
في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد أتينا
أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك
صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع فمجال هذا الباب
في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر
لا تكدره الدلاء ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك بقليل من كثير وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث

الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمايله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وفضايله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي
الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسماية قال ثنا الامام ابو القسم
عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
ابو الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن الحمدي والقاضي
ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن
الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال انا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال
ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني
تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي
هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رحمه الله قال سالت خالي هند بن ابي هالة قال
القاضي ابو علي رحمه الله وقراته على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن الكرجي الباقلاني
قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا انا ابو علي الحسن بن احمد
ابن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة مني عليه فاقر به
قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال انا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن
ابن علي رحمة الله واللفظ لهذا النسق سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيا اتعلق به قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلالا وجهه تلالو القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر
من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة
اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل
الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم
الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما
سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن
الكفين والقدمين سائل الاطراف سبط القصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو
عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط

من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره
الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدا من لقيه بالسلام قلت صف لي
منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة
ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع
الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم
شيا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا
يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بباطن ابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض
طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيا قال الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله
جزا دخوله ثلاثة اجزاء جزا لله تعالى وجزا لاهله وجزا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل
الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو
الحوايج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي
لهم ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه
من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره يدخلون روادا قال في حديث سفيان بن وكيع روادا
ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه
كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم
ويولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من
غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس
خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة
فسالته عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس
ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى قوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا

اكرمه عليه منه من جالسه او فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا و
صاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده
في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا
تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب فسألته عن سيرته
صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكبار وما لا يعنيه وترك الناس من
ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه
واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه و
يتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة
يطلبها فارفدوه ولا يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى
وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في
الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراي بما اصلح
امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله فصل
في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو
مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط
وتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها
والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وهذا كما قال في الحديث الا
خر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر
اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة
الدنيا اي زينتها والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف
المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج
ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والاصح الاشهر بلجه والحرفة وفي الحديث الاخر

الا اشكل العين وانجل العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق
بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة وبادن ضخم ومتماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا
المكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الانف وسواء البطن مستويه ومشيح
الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي
الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر
اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى
عريض كما وقع في الرواية الاخرى حكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام
وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد
مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف او قال سائل بالنون قال وهما
بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف
فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها
وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو
الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو
عنهما الماء وفي خبر ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وهذا يوافق قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم
اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين
والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون
الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه
خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط
من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا
وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة
على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل
منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر للعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما
عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في
الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله
لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم
عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه

ولا تؤمن فيه الخوف او حين كان بمصر لا تتقي ولما انه اني تحجزنا بها او لم تكن فيه قلة وان كان من لحم مشيقا وحين وريد منيوز والسحاب الكثير الضياح وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم وحسبه فلو يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوش العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها ۝

۝ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها ۝

۝ بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته ۝

لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الخلق منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى اعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه الله به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله ابن احمد العدل اذنا بلفظه قال نا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني نا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني من خيرها ثلثا فذلك قوله فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد

فانا صح

احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب عمه فيه بقوله ۝

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق

تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر ابن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة وغيرهم من البيض والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم واني شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك

قبلك صح

ولا أخبأها لنبي غيري. وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني ربي أول من يدخل الجنة معي
من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب وأعطاني ألا تجوع أمتي
ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي الغنائم
وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج. وعن أبي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه
البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم
القيامة. معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا وسائر معجزات
الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد
قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه
وفيما ذكر سوى هذا آخر باب المعجزات. وعن علي كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته
وأعطي نبيكم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار. وقال صلى الله
عليه وسلم إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد بعدي
وإنما أحلت لي ساعة من نهار. وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبراهيم وبشارة عيسى
ابن مريم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال إن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل
السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن الله قال لأهل
السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا
مبينا الآية قالوا فما فضله على الأنبياء قال إن الله قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قومه الآية وقال لمحمد وما أرسلناك إلا كافة للناس. وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر
وشداد بن أوس وأنس بن مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي
حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في بني سعد
ابن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض
وفي أخرى ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني قال في غير هذه الرواية
من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها
ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياه قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئا فإذا أنا
بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانا وحكمة ثم أعاده مكانه
وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم. وفي رواية أن جبريل عليه السلام قال قلب وكيع
أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من

من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف
من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها. قال في الحديث الآخر
ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري
ما يراد بك من الخير لقرت عيناك. وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك على الله إن
الله معك وملائكته. قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر
معاينة. وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال الله تعالى من أين عرفت محمدا قال رأيت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات. وفي رواية الآخر فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا
فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت
اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
وقيل كان آدم عليه السلام يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر. وروي عن سريج بن يونس أنه قال
إن لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم لمحمد عليه السلام. وروى
ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء
إذا على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي. وفي التفسير عن ابن عباس في
قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر
كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها
أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي. وعن ابن عباس رضي الله عنه على باب الجنة مكتوب
إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها. وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
محمد تقي مصلح وسيد أمين. وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد
على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله. وذكر الأخباريون أن ببلاد
الهند وردا أحمر مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله. وروى جعفر بن محمد
عن أبيه إذا كان يوم القيامة نودي ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه
صلى الله عليه وسلم. وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل
مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا ورزق جيرانهم. وعنه عليه السلام ما ضر أحدكم
أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة. وعن عبد الله بن مسعود إن الله نظر إلى قلوب العباد فاختار
منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته. وحكى النقاش أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده

أجمعين فقام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان إن الله قد فضلني عليكم تفضيلا وفضل
نساءكم على نسائكم تفضيلا الخبر فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة
الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من
آيات ربه الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم قصة الإسراء وما انطوت عليه
من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله
تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال تعالى والنجم إذا هوى إلى قوله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به صلى الله عليه وسلم
إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه
أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي والفقيه أبو بحر بسماعي عليهما والقاضي أبو عبد
الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا نا أبو العباس العذري قال نا أبو العباس الرازي قال نا
أبو أحمد الجلودي قال نا ابن سفيان قال نا مسلم بن الحجاج قال نا شيبان بن فروخ قال نا حماد بن سلمة قال نا ثابت
البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة
ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة
عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى
السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو
قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله
فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسندا
ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب
بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها

من أمر الله تعالى ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها
فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى
فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا
رب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا فقال إن أمتك
لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى
قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
له شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع
إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى
استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما
شاء ولم يأت أحد عنه أصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من
رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك إليه وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا
إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة
الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة
وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث
الإسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان
قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من هناك فأزاح كل إشكال أوهمه غيره
وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فذكر
القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيهما تقديم وتأخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السماوات وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود وقد وقعت في
أحاديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه
قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له والابن الصالح الذ
وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن أنس
ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي رواية
أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد من

[illegible]

[illegible]

امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تعالى له سل فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما سخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه قد اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإن محمدا عليه السلام أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي القرآن فيه تبيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي الرواية الأخرى قال فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس

وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآية رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح وفي حديث شريك أنه رأى موسى في السماء السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد وقد روي عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء ببيت المقدس وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الأعظم ولطئ دون الحجاب وفوقه رفرف الدر والياقوت فأوحى الله إلى عبده ما شاء أن يوحي وذكر البزار عن علي بن أبي طالب لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وذكر مثل هذا في بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه وأكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على أهل السموات والأرض **قال القاضي** رضي الله عنه ما في هذا من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه عن أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمرا ما من عظيم آياته ومبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى واسأل القرية أي أهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر فظاهره

أنه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن
يكلمه الله الآية وحجابا أن نور أو هو أنى يحجب بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن
محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب
عن بصره حتى رآه والله أعلم. فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم
أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه
أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك وما حكوا عن عائشة رضي
الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول أنس وهو نائم
في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام وذهب
معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس
وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود
والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن
حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل غاية
الإسرا المسجد الأقصى الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو كان الإسراء
بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل
صلى ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا. قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح
إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال
يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد
به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا
أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء
عليهم السلام ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له
بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم
مع

وما

جسمه

وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته موسى عليه السلام في ذلك
وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي
حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى
فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن
الحسن فيه بينا أنا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت
لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر
البراق وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى
العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين وهذا بين في أنه بجسمه
وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى وعن
عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الخبر وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة
فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن أنس
أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن أبي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني
عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي
أنظر إليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها. فصل في إبطال حجج من قال إنها نوم
احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان الذي أسرى
بعبده ليلا يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص
إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة
في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت
في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم إنه سماها في
الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت
فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس
في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه أن مسراه

لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه، وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما
غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض وخامر قلبه من مشاهدة الملأ الأعلى وما
رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام. ووجه
ثالث أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وقد مال بعض أصحاب الإشارات إلى نحو
من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى، ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته
بالأنبياء، ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات. ووجه رابع أن يعبر بالنوم ههنا عن هيئة
النائم من الاضطجاع، ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع، وفي
رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع، وقوله في الرواية الأخرى بين النائم
واليقظان، فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا. وذهب بعضهم إلى أن هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك
عن أنس فهي منكرة من روايته، إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه
وسلم وقبل النبوة، ولأنه قال في الحديث قبل أن يوحى إليه، والإسراء بإجماع كان بعد المبعث، فهذا كله
يوهن ما وقع من رواية أنس، مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة، وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
وقال مرة كان أبو ذر يحدث. وأما قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن
مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط، ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في
الإسراء متى كان، فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف
وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام، وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة
بعام، والأشبه أنه لخمس، والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا، فإذا لم تشاهد ذلك عائشة دل أنها حدثت
بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم
هانئ وغيره. وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت، والأحاديث الأخر أثبت، لسنا نعني حديث أم هانئ
وما ذكرت فيه خديجة. وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
إلا بالمدينة، وكل هذا يوهنه، بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه
لربه رؤيا عين، ولو كانت عندها مناما لم تنكره. فإن قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد
جعل ما رآه للقلب، وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس، قلنا يقابله قوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى، فقد أضاف الأمر إلى البصر، وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها، وقيل ما أنكر قلبه عليه السلام
ما رأته عينه. **فصل** وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف

فيها فأنكرته عائشة رضي الله عنها. **حدثنا** أبو الحسين سراج بن عبد الملك بقراءتي عليه
قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث نا أبو الفضل الصقلي
نا ثابت بن قاسم عن أبيه عن جده قالا نا عبد الله بن علي نا محمود بن آدم نا وكيع عن ابن أبي خالد
عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
ثلاث من حدثك بهن فقد كذب، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار
الآية، وذكر الحديث. وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه، ومثله
عن أبي هريرة أنه قال إنما رأى جبريل، واختلف عنه، وقد ذكر ابن إسحاق أن مروان بن الحكم سأل أبا هريرة
هل رأى محمد ربه فقال نعم، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه رآه بعينه، وروى عطاء عنه رآه بقلبه، وعن أبي العالية
عنه رآه بفؤاده مرتين. وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال
نعم. والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه، روي ذلك عنه من طرق، وقال إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم
بالخلة ومحمدا بالرؤية، وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد
رآه نزلة أخرى. قال الماوردي قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد، فرآه محمد مرتين وكلمه
موسى مرتين. وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب، وروى عبد الله بن الحارث
قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد
رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه. وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه. وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني. وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث. وحكى عبد الرزاق
أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه. وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة. وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود. وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن
عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد. وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن
عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار. وقال سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره. وقد اختلف في تأويل الآية
عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود، فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه، وعن الحسن
وابن مسعود رأى جبريل. وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه. وعن ابن عطاء في قوله
ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام. وقال أبو الحسن علي بن
إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه، وقال كل آية
أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية. ووقف بعض

مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم
يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله تعالى
فقال له الله لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو
الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع
على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها
بقوله تعالى لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الا
ستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد
قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا
تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال
معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى
وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤالي ما لم
تقدره لي وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في
الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا
ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواها وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن
لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار
أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي وهذا
كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من جهة ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من شاء
من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما
السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم وقد
ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك
خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك من
قوله تعالى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد
شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع
لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله دليلا

على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع وأما وجوبه لنبينا عليه السلام
والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما
مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله
حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث
أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني
أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية
فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى
هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله
قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد
ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق للصواب **فصل** وأما ما ورد في
هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته
الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم فذكر
عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين
أن محمدا عليه السلام كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره
آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى دنا فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن
ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه
الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء
حجاب كتكليم موسى عليه السلام وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله
عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي رضي الله عنه
في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية فذكر
فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر
كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير
ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه
السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه

على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمد فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء
ورفع بعضهم فوق بعض درجات. **فصل** وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو
والقرب من قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي
منقسم بين محمد وجبريل أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو
محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى
مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش عن
الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه
قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى
سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى
إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين
قال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله
أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو
النبي من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار
غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا
إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه
دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا
بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة
عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى ويتأول فيه
قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول
وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول **فصل** في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة
حدثنا القاضي أبو علي ثنا أبو الفضل وأبو الحسين ثنا أبو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب
ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا

إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي
رواية ابن زحر عن الربيع عن أنس في هذا الخبر أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم
إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء
الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون
وعن أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم
القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه
الأرض ولا فخر وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول
من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وعن ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر
وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين
والآخرين ولا فخر وعن أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا وعن أنس
قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين
وذكر حديث الشفاعة وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أرجو أن أكون أعظم
الأنبياء أجرا يوم القيامة وفي حديث آخر أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة
ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى
فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به
فقوله عليه السلام أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن
أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم
يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر
لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى
في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى
محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون غيره وعن أنس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت
فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء
من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة
وعن ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث
الحوض أيضا أنس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد

وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابو بكر وعمر بن الخطاب
وابن عمرو وابن مسعود وعبد الله بن بسر وسهل بن سعد وسمرة بن جندب وعبد الله الصنابحي
وابو سعيد الخدري وابو هريرة والبراء وجابر وعائشة واسماء بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة
بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار
الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله **اخبرنا** ابو القاسم
ابن ابراهيم الخطيب وغير واحد عن كريمة بنت محمد قالت نا ابو الهيثم ونا الحسين بن محمد الحافظ سماعا
عليه قال نا القاضي ابو الوليد نا ابو ذر قال نا ابو الهيثم قال نا ابو عبد الله محمد بن يوسف قال نا
محمد بن اسماعيل نا عبد الله بن محمد نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي
حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا
وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا
منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب
من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه
الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك
وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك
الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر **قال القاضي** ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل
المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفاء وسمي ابراهيم خليل الله
لانه والى فيه وعادى فيه وخلة الله تعالى له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير
المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه
وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة
قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار
وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك الله
في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية
ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عن

الاختصاص
وانقطاعه

من دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي
ألطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم تخللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا
يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة
فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة
ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة
الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه
ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه
يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة **بقوله**

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار
الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله الآية حكى اهل
التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل
الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته
وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته
الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان
قاب قوسين او ادنى وقال الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل

بالبشارة

قال في الجنة حتى يرى الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق
في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب
لما ضللتم والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على
مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي بخطه
نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف قال
نا محمد بن اسماعيل قال نا اسماعيل بن ابان نا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول
ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا
حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي
هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي
الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل
ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي
وعده وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه
الاولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك يوم ينزل الله تبارك
وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي
هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن ام حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم
دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل
وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا
اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا
دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار
لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده
في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود

المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم
قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعد وعن سلمان المقام المحمود
هو الشفاعة فيمن امته يوم القيامة ومثله عن ابي هريرة وقال قتادة كان اهل العلم يرون
المقام المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه صلى الله عليه وسلم للشفاعة
مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين ومن الحجة ما ثبت في صحيح الاخبار عنه
صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت الا بخبر صحيح
اثري ولا خبر بذلك ولو صح لكان لها تاويل غير منكر لكن ما صح عن النبي صلى الله عليه
وسلم في صحاح الاخبار اجدر فلا يحتاج الى تطلب التاويل مع امكان حمله على ظاهره ولا يتفق على المقال
به احد وفي الاطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل
حديث بعضهم في بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا وعن غيره منهم ماج الناس بعضهم في بعض
وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون
من يشفع لكم فياتون آدم زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي
قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي
دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فياتون ابراهيم
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا ويذكر كذباته الثلاث نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم
الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر
خطيئته التي اصاب قتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون
عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية
فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليه الا ان

فليحمد الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي
ثم قال وفي رواية أبي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا
رب أمتي أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم لم يذكر في رواية أنس هذا الفصل وفي رواية وقال إنك تأتيه
أخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فأقول أمتي
أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر أو شعيرة من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل
ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم كمثل الأول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل
ثم أرجع ثم كمثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل ثم
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فأقول يا رب ائذن لي
فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من
النار من قال لا إله إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي
في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة
مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية
أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر
آخرهم حبوا وفي الحديث وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه فأكون أول من يجيز ومن ... وعن ابن عباس
عنه صلى الله عليه وسلم توضع للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين
يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع
حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى أن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب
ربك في أمتك من نقمة ومن طريق قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا
أول من تنشق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة
وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها
من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك
قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء
في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه

عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم
القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم وتبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم
لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤوا يدعون بها على يقين من
الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في
أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي
صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة
وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة
مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا
أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل
والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وسلم كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا ثنا أبو
علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا
ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن
عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة وعن أنس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج
مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض
من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث
الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه
قال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر
صلى الله عليه وسلم عن ربه أعطاني الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه

النمري

ظلمني وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والحرم **فصل** فاذا تقرر من دليل
القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن تفضيله كقوله فيما **حدثنا** الاسدي قال حدثنا السمرقندي قال حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن
سفيان حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم
نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عنه عليه السلام قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد لي وفي
حديث ابي هريرة في اليهودي والذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول هذا ورسول الله بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين
انبياء الله وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
ابن متى وعن ابي هريرة من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديث اخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك
ابراهيم **فاعلم** ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات **احدها** ان نهيه عن التفضيل كان
قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر وانما نهى
كف عن التفضيل **الوجه** الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على جهة التواضع ونفي التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض **الوجه** الثالث لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص
بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في
نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى
الفلك المشحون وظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده خطيئته بذلك **الوجه** الرابع
منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها
فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم
من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم
من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية
وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال بعض اهل العلم والمراد هاهنا في التفضيل
وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون
في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام
او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع

الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط
من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب
وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الذكاء
والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى
وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان
شاء الله فقد بان لك الغرض وسقطت بما حررناه شبهة المعترض **فصل** في اسمائه
صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته **حدثنا** ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه
قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على
قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسمه
ثناءه فطوى اثناءه عظيم شكره **فاما** اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد
مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس
حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد
ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته
في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع
اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت
به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على
ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه
السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو
والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن
براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم
ويقال ان اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى
به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما **واما** قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر
في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه
ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد
ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على

البكري

قومي او على زماني وعهدي او ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب
من سواه من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
مشاهدي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على
قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون
اليه في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسماء وذكر
منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس
يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة
التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين
وانا قيم كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه
بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة
بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه والقيم الجامع الكامل وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم
لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى
الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي معنى
العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما
وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين رؤوف رحيم
وقد قال في وصف امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب
من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى الله عليه
وسلم انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم في اهله عليه
السلام معلوم وقد جاءت من القابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما
ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة

الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع والمشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد
آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان
وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح القدس وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار
قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا
واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا
في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي
كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة
العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما
التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته
في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس
انه قال لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل في تشريف
الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن
لم يشرح الله الصدر للهداية لاستنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه
بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوح بشكور
وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسماعيل بصادق الوعد
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم صلوات الله عليهم وفضل محمدا صلى الله عليه وسلم
بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا
الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا
الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى
محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد

وقد أشار إلى نحو هذا حسان رضي الله عنه بقوله ، وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه تعالى في كتابه بذلك فقال بالمومنين رؤوف رحيم
ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلاهيته بان
وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل إني أنا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق
من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وأمره وهو بمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته والمبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما
نزل إليهم ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السماوات والأرض بالأنوار ومنور قلوب
المومنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال تعالى
فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين بما جاء به ومن أسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العليم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه عليه السلام شهيدا وشاهدا فقال
إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه
الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه تعالى كريما
بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم ومعاني الاسم
صحيحة فيه وقوله عليه السلام ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في
النبي صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل وسيلد عظيما لأمة
عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم
الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود عليه السلام بجبار فقال تقلد أيها
الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه
الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن
جبرية التكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما أنت عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المامور بالسؤال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي
عليه السلام والمسؤول الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه
الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به ومن أسمائه تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم
النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث
الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك

بحقيقة الشيء

وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ونعمه
عليه وجعلني فاتحا وخاتما ويكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم والفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح
لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله والناصر للحق والمبتدئ بهداية الأمة والمبدأ المقدم في الأنبياء
والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال إنه كان
عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا
بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم ومن
أسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه
ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا وأشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول
مشفع وهو خاتم النبيئين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن أسمائه تعالى الصادق
في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق والمصدوق ومن أسمائه تعالى الولي
والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام أنا ولي كل مومن
وقال الله سبحانه النبي أولى بالمومنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه
الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في التوراة والقرآن وأمره بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال فاعف عنهم
واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في الحديث
المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن أراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم وأصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير اهدنا الصراط المستقيم أرشدنا وسمى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم وقال تعالى فيه عليه السلام وداعيا إلى الله بإذنه فالله
تعالى مختص بالمعنى الأول قال الله تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق
على غيره تعالى ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده
عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا
من ظلمه والمومنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الأمين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقيل إن قولهم
في الدعاء آمين إنه اسم من أسماء الله ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه

وسلم أمين ومهيمن وقد سمي في كتب الله أمينا فقال متكلم ثم أمين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالأمين
وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا أيها المهيمن قاله القتبي والإمام أبو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
أي يصدق وقال أنا أمنة لأصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن أسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لأنه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس
ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه صلى الله عليه وسلم المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر أو الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال
ويخرجهم من الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية ومن
أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي
الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وقال إن الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل
معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم. **فصل** قال القاضي أبو الفضل وفقه الله وها أنا أذكر نكتة
أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم
الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء
مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق
فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض
والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ولله در من
قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد
هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا
لصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة
كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي
الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف
تشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة
ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره
فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته

حقيقته فهو موحد وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في
وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله
تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الغواية والضلالة من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها
حتى لا يتوصل المطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ
الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له
ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو
كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه
من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه
والإيمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما أن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن
خيرون عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد
الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة
ابن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن أبي رمثة التيمي رضي الله عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن
قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا
بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو

ومعنا صيغة فقالت اما ضاينة لنمز النبي زانت وجعة رجل من العرب ليلة البشر ما تجيم كم فاصبحا
بعد رجل منهم فقال اما رسول رسول الله يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتم لوا خبر تمسكوا بها
بوجلنا ولم يخبر العجلتين بعد عمار لما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الجنة قال العبري
والله لقد قلنا على هذا النبي الذي يتمنى انه ايامن يحبهم انه كان ان اخرجه وكاشي عن نبيه انه كان اول
ما جاء له وانه جبل قبل ان يبعثهم وجل فلا تعجز ويريه بما انتظر ونحن النوعة واشتر انه نبي وقال
تفصيله في قوله تعلى تكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم تقول تكاد منطقه يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال الشيخ رحمة الله
لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منطقه ينبيك بالخبر .. وقد ان ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي
والرسالة ونحن في معجزات القرآن وما فيه من خوارق العادة فصل اعلم ان الله جل اسمه
قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون
واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكر بعض اهل التفسير في قوله تعلى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك
الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه
واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوءة في لغة من همزها ماخوذة من النبا وهو الخبر
وقد لا تهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي
فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل
ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض ومعناه ان له رتبة شريفة ومكانة
نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول
بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من
التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او
الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله
من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعلى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما
معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ
قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك
وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قال
وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام

والكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من قبلك رسولا الى امة او نبيا ليس بمرسل الى احد وقد
ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مجدد ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار
والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم
وآخرهم محمد صلى الله عليهما وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان الانبياء مائة
الف واربعة وعشرون الف نبي وان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم فقد بان
لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية بل هو
تفضل الله وتنويل لهم عليه نعمة واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما
ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي
الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعلى فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحى الوحى اي السرعة
وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعلى وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعلى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه اي القي في قلبها
وقد قيل ذلك في قوله تعلى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق
نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب
هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله
احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعلى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له
واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من
هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي
في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين
ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر
السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي
به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكار وجود
محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض

بعض أنبيائه وتحدى هذا الخبر على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن كان كل خبر منها بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته. والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمناه. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا وللطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من

آياته بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال بهذا من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما رحمهما الله وما أوجب عندي قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله.

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان
جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه
وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر
سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رءوس الملا اجمعين ام يقولون افتراه
قل فاتوا بسورة مثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله
ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وقل فاتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ
اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد
وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته
محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم
ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم
كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على
اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل
والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول
هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع آخر رجلا يقرا فلما استياسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا
الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على
راسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها
وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا آية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على
عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك

ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية
فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف
الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى
به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به
معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه
البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الآية وقوله
تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الآية واشباهها من الآي بل اكثر
القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها
وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتامله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها
ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة
لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب
كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه
عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع
او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القرآن رق له
فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي
يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن فقال والله ما هو بكاهن ما هو
بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما
هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر
قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين
من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه

واخيه والمؤمن وزوجه وام المؤمن وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يصدون الناس عنه فانزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الآنف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن له قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه. فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه الآية وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة. فصل الوجه الرابع ما انباه من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى عليه السلام والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق

امر على ما نقله من خبرهم ومن شئ في مخابير خاسير ووقع هنا فلم يحفظ عن واحد من النصارى
واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم
شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت
احلت لهم فحرمت عليهم لبغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك
من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه
بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن
صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى فيما عندهم من ذلك
مخالفة لما حكاه دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين الى قوله فاولئك هم الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن
معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف
قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآية

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه
الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس الآية قال
ابو اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص
لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي
من اعجب امرهم انه لا يوجد جماعة منهم ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه عليه السلام يقدم
عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا
المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله تعالى
فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم
انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان فهذه الآية

ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها
الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة
حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا
كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية
ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني
انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن
جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول
ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليه حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي
صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة
مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله
لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك الآية فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ
الاندلس في زمانه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج
بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة **فصل** ومن
وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه
فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر
معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة
معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى
وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة
علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي

لسمع غيره فما يهم من أقوى بشيء بموضوع معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا افترى
فيه على منطق صحيح ولا قدح التكلف من ذهنه في زند إلا أتى بزند شحيح بل المأثور عن كل
من رام ذلك إلقاؤه في العجز يديه والنكوص على عقبيه. فصل: وقد عد جماعة من
الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب
على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته
في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة
الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأ
هواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى
الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم
فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية
وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا
عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي
أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم
والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب
من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال
صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم
وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف
ولا يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم إني
منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم
الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وقال تعالى إن
هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى

وموعظة فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها
على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن
وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع
الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم
يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان
وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها
مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من
قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائد
دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه
وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن
اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي
الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير
النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص
الأنبياء عليهم السلام كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة
التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرناه أنه ذكر في إعجاز القرآن
إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب أن يعد
متنوعا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في
خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما
بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب وهو المستعان

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة
على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا
أبو محمد الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن
إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية
مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود
وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم
ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها
فاسالوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر
اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة
فهؤلاء الاربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق
القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان
يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره
عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم
ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن
ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه
الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض
اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل
الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع
اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم
من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون
بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير
العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف
القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من
انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء
فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك في الصهباء في خيبر قال وهذان
الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف

عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن
ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا
متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة
من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا ابو اسحاق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل نا ابو القاسم خاتم بن محمد نا
ابو محمد بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي
الله عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم
يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس
حتى توضؤوا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او
لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن
ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة
بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا
ماء الا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من
بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس
عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان في غزوة الحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة
ابن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي
به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب
جابر عليه وقال بسم الله فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله

عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها
وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي رحمه الله وفي الباب عن عمران
ابن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا
اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهولاء قد
رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له.

فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطا عن معاذ بن جبل رضي
الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين
بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت
بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك
يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا. وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع
وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم
نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي
بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي
غير هذه الطرق في هذه القصة من رواية ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن. وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها
فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني
وكانوا اثنين وسبعين رجلا. وروي مثله عمران بن حصين وذكر مثل هذا في حديث ابي قتادة على غير
ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء
وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء غدا وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة
احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه. ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما
انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم
فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران رضي الله عنه
ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم

نرزاك من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله. وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه
قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح
فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة. وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة
وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى
النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما
معهم من آنية ولم تجاوز العسكر. وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض
فخرج الماء فقال اشرب. والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعائه في الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم
ابن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته
وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام
لكم. ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص
من شعير جاء به انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول. وحديث جابر في اطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع من شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق
في العجين والبرمة وبارك. رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامراته
لم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء
الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي
بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء. وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر زهاء
ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى
تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي
النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر
في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع

من الطعام

وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك [illegible] وأعلاهم الذي
أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم
فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أمرني النبي صلى الله عليه
وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا
وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم من يأكل الجذعة ويشرب
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى
رووا وبقي كأنه لم يشرب. وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمره أن يدعو
له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر
جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا
مما كان وكان القوم أحدا وسبعين وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا
زهاء ثلاثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام
ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله. وأمر عمر بن الخطاب رضي
الله عنه أن يزود أربع مائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم
منها وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الخثعمي ومن رواية جرير مثله
ومن رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربع مائة راكب من مزينة ومنه حديث جابر في
دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرمائه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف
دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا
فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال
وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك. وقال أبو هريرة رضي الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده صلى
الله عليه وسلم فأخرج قبضة فبسطها ثم دعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه
ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا
في سبيل الله وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه

ومنه أيضا حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه
وسلم فوجد لبنا في قدح قد أهدي له وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم
كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له
أن يسقيهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ
النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال
يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى
وشرب الفضلة. وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال
خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبل عياله عظما عظما وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل منها ثم قال
اجعل فضلتها في دلو خالد ثم دعا له بالبركة فنثره لعياله فأكلوا وأفضلوا. ذكره
الدولابي (?) ومن حديث أبي جعفر في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة أن النبي صلى الله
عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربع أمداد أو خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن
في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر
بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن. وفي حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور وبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم فلم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا
زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة
ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا
حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وأكثر هذه الأحاديث
في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم
أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا
يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر.

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم كذلك

حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي
عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي قال حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي قال حدثنا أبو حيان التيمي وكان
صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه
الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فدعاها فأقبلت تخد الأرض

حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة
سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت
الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال
الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل
يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف
بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله
الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا
وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل
تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال
هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن
فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في
مسير وذكر نحوا من هذين الخبرين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله
عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الخبر ان الجن قالوا
من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الخبر
الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود

مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي
الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا
وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي
هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه
حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال
ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع الى مكانها وعن علي رضي الله
نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر
مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي
صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم
قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه
وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها
ياتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال ارجع كما جئت
فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت
هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع
فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر قد خرجه
اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضوان الله عليهم بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة
وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
يقوم الى جذع منها فلما صنع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج
المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع
وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا
الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن
تحت منبره او جعل في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه

فلما صنع له المنبر حن الجذع وكان يخطب إلى جذع فلما فقده حن فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه ثم أمر به فدفن تحت المنبر. وفي حديث بريدة فقال له يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء. فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه.

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب.

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات. حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي قال القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط قال المهلب قال أبو القاسم قال أبو الحسن القابسي قال المروزي قال الفربري قال البخاري قال محمد بن المثنى قال أبو أحمد الزبيري قال إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه. وقال أنس رضي الله عنه أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن. وروى مثله أبو ذر رضي الله عنه وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان. وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود. وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له. وفي حديث العباس رضي الله عنه إذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين. وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح. وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه وسلم

وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان. ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد. والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين. وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه. وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إلي يا رسول الله. وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه. وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاث مائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم. ومثله حديث ابن مسعود فقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد. ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي ثم ذكر البقية ثم قال وأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه صلى الله عليه وسلم.

رضي الله عنه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ قال حدثنا أبي والقاضي يونس قالا حدثنا أبو الفضل الصقلي قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو قال حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب. وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي. ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك

رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانبا ما سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث
الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله
قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته
واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس انه كان صاحب القصة
والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع انه كان صاحب القصة ايضا وسبب
اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان
ابن امية مع ذئب وجده اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب
اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وانه جرى لابي
جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس رضي الله عنه لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر
الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار
ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب
اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به وهو على بعض حصون
خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب وجوهها فان الله سيؤدي
عنك امانتك وردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل النبي صلى
الله عليه وسلم حائطا انصار وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدن له
فقال ابو بكر رضي الله عنه نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك
وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل
فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال
ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي
اوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه
انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد
روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى

الله عليه وسلم حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله
عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة رضي
الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى
الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست
او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا وعن ام سلمة رضي الله عنها كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي
من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد
فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به مركبه فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ صلى الله
عليه وسلم باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها
وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي
يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا
فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه
وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء
وهم زهاء ثلاث مائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما
اراك ان تملكها فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه صلى الله عليه وسلم وقد قام الى الصلاة في بعض
اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى
صلوات الله عليه ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه
اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور منه وما وقع في كتب الائمة

فصل في احياء الموتى وكلام الصبيان
والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد
والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإجازة قالوا أنا أبو علي الحافظ
قال أنا أبو عمر الحافظ نا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى نا أحمد بن سعيد نا ابن الأعرابي نا أبو داود
نا وهب بن بقية عن خالد الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي
صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل
القوم وقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك
قال فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك
على ذاك فقالوا ألا نقتلها قال لا وكذلك عن أبي هريرة من غير رواية وهب قال فما عرض لها ورواه
أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها
تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت إني مسمومة وكذلك ذكر الخبر
ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في
لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في وجعه الذي مات منه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري وحكى ابن إسحاق
إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به
من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته
وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأنس وجابر رحمهما الله وفي
رواية ابن عباس رحمه الله أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله للذي
سحره قال الواقدي وعفوه عنه أثبت وروي أنه قتله وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله
إلا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا باسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر أحدا منا

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه
الأئمة وهو حديث مشهور واختلف أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله
تعالى في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير
أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون
ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعده وحكي هذا أيضا عن شيخنا أبي الحسن وكل محتمل
والله أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة
بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام
النفس إلا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي المعتزلة في إحالته وجود الكلام اللفظي
والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات
والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة

أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل
تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع
أنه لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله وروي عن معرض
ابن معيقيب رضي الله عنه رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر
مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك
اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها
يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن
أحببت أن أردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن أنس رضي الله عنه
أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت
اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله
الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه
القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو
ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة
فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر
أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات

أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال أنا أبو إسحاق الحبال
قال أنا أبو محمد بن النحاس أنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق
قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة في جماعة ذكرهم بعضهم أحسن تطويلا قال وقالوا
وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني النبل ويقول ارم
به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت وأصيب
يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمرو بن
قتادة ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي
قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع

الله أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه
إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع
وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن
قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك أن
أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر
فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرئ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني
علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت
وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك
الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب
يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا
يفضل به عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنه جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره
فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض
على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها
ولم يبق لها أثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
ألقي الله عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها

فصل في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

وهذا باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي
عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن [أبي]
إسماعيل ثنا عبد الله بن أبي الأسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول

الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن
رواية عكرمة قال أنس رضي الله عنه فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم
على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة
من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن رضي الله عنه فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات
فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن
أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى
بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا
وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وبأقتابها وأحلاسها ودعا لمعاوية رضي الله عنه بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد
ابن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر
أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر
رضي الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا
فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة
وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل أكثر من هذا
ودعا لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا
للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد
كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى
التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت له صلى الله عليه وسلم ناقة فدعا فجاء بها
إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى
الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
ودعا لفاطمة ابنته رضي الله عنها ألا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن
عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول
إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق ملكه فلم
يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن
يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال

وقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الاسد وقال لامرأة أكلك الاسد فمزقها كلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود
في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد
رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي
صلى الله عليه وسلم فرآه فقال كن كذلك فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة
فمات لسبع فلفظته الارض ثم وري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصغر
جانب الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس
بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت
شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره

اخبرنا احمد بن محمد ابو بكر المقرئ اجازة وثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم
ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد الاعلى بن حماد ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف
او به قطاف وقال غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسكم بحرا وكان بعد لا يجارى ونخس جملا لجابر
وكان قد اعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه وفعل مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة
معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة فرده هملاجا قيوما وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد
ابن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر رضي
الله عنها انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون
قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته
فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله عليه
وسلم من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا قد بكيا عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها
للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها

عليهما السلام

اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد
اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضع
فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركته صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان
حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين
اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت
كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار
فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من
عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه
اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل رضي الله عنه سقاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها
اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ضحيت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في
ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة
وكان هذا السيف يسمى العون ودفع صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش يوم احد
وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في
درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم
حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكأه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه
فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك
فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب وروي مثل هذه القصة عن غير واحد منهم السائب بن
يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح
يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي
ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو
ابن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان
لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله عليه وسلم

على رأس حنظلة بن خويلد وسلم عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه
والشاة الوارم ضرعها فيوضع على موضع كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب
الورم ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال
ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وروي مثله
في خبر الهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرئوا وأتاه رجل به أدرة
فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاووس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب المس والجنون ومج صلى الله عليه وسلم في دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه أبو هريرة النسيان
فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وضرب صدر جرير
ابن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح
رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال
طولا وتماما وما يؤثر عنه في هذا كثير. فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب
وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة
معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على
الاطلاع على الغيب. حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على
غيره قال أبو بكر فنا أبو علي التستري فنا أبو عمر الهاشمي فنا اللؤلؤي فنا أبو داود فنا عثمان
ابن أبي شيبة فنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا
حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأ
عرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه ثم قال حذيفة رضي
الله عنه ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه
وقبيلته وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر
جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه
صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله وأن المدينة
تغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وأنها ستكون لهم أنماط

أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم خير منكم يومئذ
وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم
على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده
وقيصر حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر وذهاب الأمثل فالأمثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب
من شر قد اقترب وأنه زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له
منها ولذلك كان امتدادها في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث
لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تنتشر في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى
الله عليه وسلم لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وذهب ابن المديني
إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم
قال ببيت المقدس وأخبر بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولا وخروج
ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته
وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي
لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار فكان ممن عاداه الخوارج
والناصبة وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان رضي الله عنه وهو يقرأ في
المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم
الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب
الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة
عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله
ابن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل
النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة رضي الله عنه آخرهم موتا هرم وخرف
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فإني رأيت الملائكة تغسله
فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد وجدنا رأسه يقطر
ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين وقال صلى الله عليه
وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله
وأن فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكا

فكان كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر
بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا
وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشأن اويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا
آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك
ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق
الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد
ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا ياتي
زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة
راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر
هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد
حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر صلى الله عليه بشأن الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون
في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك
على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم
في النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضي الله عنه فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا
ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجد في رحله وبالذي غل
الشملة وحيث هي وناقته صلى الله عليه وسلم حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن
كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى
الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم بالمال الذي تركه عمه العباس
عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف
وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما
قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع
بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم
مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من
كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده فكان كما
كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد

الحرام قال فاذا اخرجت منه ... وذكر عيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف
واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت
يده في الجهاد وقال عليه السلام في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا
لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف
بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من
فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال عليه السلام
لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان ذلك قام بمكة مقام
ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقويت
بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجده هذه الامور كلها
في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم
واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه صلى
الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه
قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها
ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش حين كذبوه بيت
المقدس ونعته لهم نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم
بوقت وصولها فكان كله كما قال صلوات الله عليه وسلامه الى ما اخبر به من الحوادث التي
تكون ولم تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت
المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط
الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيامة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا
اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله
المستعان

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
تعالى اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى

إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي
الشهيد أبو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا
نا أبو الحسين الصيرفي قال نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي نا أبو العباس المروزي نا أبو
عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن إبراهيم نا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد
الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا
فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة
يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الأعرابي
وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة في
الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع
إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم
بدر وقد انفرد صلى الله عليه وسلم من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر
مثله وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وأن
الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت
تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط
السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت وقيل فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث
المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا
سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه
من قبل الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا
فلما نزلت هذه الآية استلقى وقال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب
تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل
وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع
زوجها من الذم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر
وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى
الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن أبي العاصي تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا
علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا

منتضيا

إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت أنا
وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا
له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة إلى فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد
عمر وقال النجاء وفرا هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عندما أخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام
على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته
عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال
أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما
أرى أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه
أحد لما كانت هناك الحمام وقصته صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه
واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه
فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى
الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها
فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه
أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه
وسلم ألا يترك أحدا يلحق بهما فانصرف يقول للناس كفيتم ما هنا وقيل بل قال لهما أراكما
دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر
أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري
ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحاق وغيره أبو
جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه
إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت
يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر
أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى
النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا
جعلنا في أعناقهم أغلالا الآية إلى يبصرون ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق في قصته إذ خرج إلى بني
قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه

رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقيل إن قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه القصة نزلت .
وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو
ابن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس
النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله
فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة
وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة رحمه الله أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا
يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا
على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه
وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى
أن رآه استغنى إلى كلا لئن لم ينته إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان
حمزة رضي الله عنه قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد فلما اختلط الناس أتاه
من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق
فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض
الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي
وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير قال أردت قتل النبي
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما
كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي
فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه . ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد
ابن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد
فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه
أفأضربك ومن عصمته له أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش
وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله حتى بلغ فيه أمره ونصره
بالرعب كما قال صلى الله عليه وسلم . فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من
المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور
شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص
الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم
وكتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة
بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة

قتلا

أمامه شهر

فرقة من الكتابيين بما في كتبهم وأعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها وأخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل
إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته صلى الله عليه وسلم
على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيئا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو
إليه صوبه واستحسنه دون إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار آجلا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة
وأصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لأول عابر وهي على رجل طائر وقوله صلى
الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله صلى الله عليه وسلم إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله أصل كل
داء البردة وما روي عنه في حديث أبي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق إليها
واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني
وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية
وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه إلى قوله عليه السلام فإن كان
لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة أم
أرض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله إن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر
إن الحسنة بعشر أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو
بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله عليه السلام ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
لعيينة أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك فإنه أذكر
للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل شيء حتى وردت
آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله عليه السلام لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم

ومعانيها

إلى سؤاله

للممل

رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان
يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات
العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر
الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه
الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها وهو رجل امي كما قال
الله تعالى لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا
قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها
والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة
اهله وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما
ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما
يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا اليه انما هو سلمان الفارسي او العبد الرومي
وسلمان رضي الله عنه انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد
من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي
اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان
بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن وقد كان سلمان
او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه يكلمونه مدى اعمارهم فهل
حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد
منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده
ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر
ابن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت
اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره
وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما
مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه

ورفاقه وعشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز
القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر **فصل** ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له
بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولاه الآية وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة وقال تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي
عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد
الله قال لقد راى من آيات ربه الكبرى قال راى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة
جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم
وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن
مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان وراى
ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل عليه السلام في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره
جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر
الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان
ابن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت
الملائكة تصافح عمران بن الحصين واري النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة
فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال
الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم
انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع
النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد
عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا
ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا
تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري
المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا

يغني أحد من تحريفه لآية فرحمه الله حاكما وهذا باب واسع.

فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة، وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم، وما عرف به من أمره صلى الله عليه وسلم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره، وما ألفي في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود، وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى، وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساها، ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء. والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر. وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه رضوان الله عليهم، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره، ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب، فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره، ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال، وقد قال لهم: قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة، إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته، وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور، وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور، وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور.

فصل ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب، وكونه عليه السلام رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء، وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى ما رأت إذ ذاك من قصور بصرى، وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف: لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول: رحمك الله، وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الروم. وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته، وما

وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد. وأنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا، فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا، وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا. قالت أم أيمن: ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا. ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع. وما نشأ عليه صلى الله عليه وسلم من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية، وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في تستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة، إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه، فقال له عمه: ما بالك؟ فقال: إني نهيت عن التعري. ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره، وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه، فذكرت ذلك لميسرة فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره. وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها، وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة. ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرقت، وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه. وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته. وما ذكر من أنه كان صلى الله عليه وسلم لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا، وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه. ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه، ثم إعلامه بموته ودنو أجله، وأن قبره في المدينة وفي بيته وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وتخيير الله له عند موته، وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها، واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله، وندائهم الذي سمعوه أن لا تنزعوا القميص عنه عند غسله. وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند موته، إلى ما ظهر على أصحابه رضي الله عنهم من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه، وتبرك غير واحد بذريته.

فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله: قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة، في واحد منها الكفاية والغنية، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا، واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد، ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر، إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة، وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار. وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة. ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين: أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها، وقد نبه الناس على ذلك، فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على

على ما نبينه إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه
عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن
كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة
أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فهو أقل ما تحداهم به مع
ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من
سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات
فيتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد
منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل
جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من
الأخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب
كل خبر منها معجز فيتضاعف العدد مرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحا
ديث الواردة والأخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وعما دل على أمره
مما أشرنا إلى جمل منها يبلغ نحوا من هذا. الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام
أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من
إحياء الموتى وإبراء الأكمه دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء
صلوات الله على جميعهم ثم إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها
أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله تعالى عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة
فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب
والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن
الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب
عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء
الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه
التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه
إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة
لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب

من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على
ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين
والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقا وسائر
معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله
فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق
وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد
عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي
إلا أعطي من الآي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله
إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة. هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله. وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل
فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا
في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر
أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا السحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه
عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا
بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يخفى
عليه ويغمض. وجه رابع على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور
البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنه
لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق
بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم
بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته وأنهم منعوا
عن شيء هو من جنس مقدورهم. وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره وقال
هذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها
فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك
الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من
جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها
إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آية صدقي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم
عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله لكان ذلك من أبهر آية

عن القيام

والظهور بآلة وبالله التوفيق. وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آي
الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها
وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط
وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز
عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع
إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الظاهرة
البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب
على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من
آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه. ولما جاءهم الرسول
بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل
يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم
في نصرته. وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا
قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه السبل
وظهورها وبالله أستعين وهو حسبي. كمل الجزء الثاني بكمال القسم الأول والحمد لله على ما كمل

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما
ذكرناه في أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته
وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به
قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله. وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي فالإيمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه. قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا. حدثنا أبو محمد الخشني
الفقيه بقراءتي عليه ثنا الإمام أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن
سفيان ثنا مسلم ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن
يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني

دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
والإيمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما
جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع
التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في
هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا
الله وأن محمدا رسول الله. وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال أخبرني عن الإ
سلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر
أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث
فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه
الحالة المحمودة التامة. وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا
هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله
والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم
لا يعتقدونه. فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخر
جوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم إيمان ولحقوا بالكافرين في الدرك
الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة
بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم
يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه. والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة
من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه
ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول
والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا
مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه. الثانية أن يصدق بقلبه ويطول مهله
وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا
فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس
بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد
ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها. وهذا هو الصحيح. وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام
في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجريد ممتنع على مجرد
التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفا
ته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب

وفي نسخة هو الخروج عن غرض التأليف وفيما ذكرناه غنية ان شاء الله تعالى.

فصل: واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به. قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله. وقال قل اطيعوا الله والرسول. وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. وقال وان تطيعوه تهتدوا. وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله. وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. وقال ومن يطع الله والرسول الآية. وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله. فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه. قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به. وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه. وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه. وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه. وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته. وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم. ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة.

حدثنا محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبدان نا عبد الله انا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني. فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له. وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا. فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني. وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم. وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى. وفي الحديث الآخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق. وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة. فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله

عصى الله ومحمد فرق بين الناس.

فصل: واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم. وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون. وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما. اي ينقادوا لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد. وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية. قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل. وقال غير واحد من المفسرين بمعناه. وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه. وقال سهل في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة. فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم. ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه. وروي عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية. وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية. وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا، ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته. ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل:

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن احب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له. وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه. قال القشيري اذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات. وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى.

حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد قال نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الآجري نا ابراهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة. زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار. وفي حديث

أبي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من
أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه. وفي حديث
عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني
لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء
مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وبحديثي خسر الدنيا والآخرة. أمرت أمتي أن يأخذوا بقولي
ويطيعوا أمري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن. قال الله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه. وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس
مني. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحسن الحديث كتاب الله
وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها. وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال النبي صلى
الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة
وعن الحسن بن أبي الحسن قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في
بدعة. وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها. وعن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد
وقال عليه السلام إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي تفترق على ثلاث
وسبعين كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي أنا عليه اليوم وأصحابي
وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي وعن
عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيا سنة من سنتي
قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم
شيئا. فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته. حدثنا الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه سماعا عليه قال نا
أبو عمر الحافظ قال نا سعيد بن نصر نا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح
نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر
فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال
ابن عمر يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل. وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها
تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا
تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها

خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا. وقال الحسن
ابن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة. وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال
من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم
السنة والفرائض واللحن أي اللغة وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن
فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله. وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع. وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى أني أنهى
عنه الناس وتفعله فقال لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس
وعنه ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. وقال ابن عمر صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر. وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما
على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشيته فيعذبه الله
أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية
الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات
عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة. وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا
أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم. وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
إلى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت
عليه السنة فكتب إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق
فلا أصلحهم الله. وعن عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول
أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله. وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا اتباعها. وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله. ورئي عبد الله بن عمر
يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
ففعلته. وقال أبو عثمان الحيري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن
أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة. وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية
في جميع الأعمال. وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول
الله صلى الله عليه وسلم. وحكي أن أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا
الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم
أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة

وجعلنا اماما يكن ترويته فله من اتى فاجهد بل. فصل ومخالفة امره وتبديل سنته
ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب. قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن
امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم. وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى الآية. حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمان حدثنا سحنون حدثنا ابن القاسم حدثنا
مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير
الضال اناديهم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا.
وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني. وقال صلى الله عليه
وسلم من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد. وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او
نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه. زاد في حديث المقدام الا وان ما
حرم رسول الله مثل ما حرم الله. وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى
بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى نبي غيرهم او كتاب غير كتابهم
فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية. وقال صلى الله عليه وسلم
هلك المتنطعون. وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ.

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها الآية. فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده
احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام
الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله. حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما
اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا
المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن
عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى
اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين. وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه. وعن
انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في

في النار. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي
من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه. فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي
بين جنبي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر. قال سهل من لم ير ولاية الرسول
صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة
سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو حفص عمر
ابن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبدان حدثنا شعبة عن عمرو
ابن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني
احب الله ورسوله قال انت مع من احببت. وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني
احبك قال المرء مع من احب. وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس رضي الله عنهم. وعن ابي ذر بمعناه. وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما كان معي
في درجتي يوم القيامة. وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب
الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا. فدعا به فقراها عليه. وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم
القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية. وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله. ومثله
عن ابي ذر. وتقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي
من نفسي. وما تقدم عن الصحابة في مثله. وعن عمرو بن العاصي ما كان احد احب الي من رسول

الله صلى الله عليه وسلم. وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش
الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى
يغلبه النوم. وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك
بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي
طالب كان اقر لعينك. ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم احب الي
من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن ابن اسحاق ان امرأة من الا
نصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما
راته قالت كل مصيبة بعدك جلل. وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظما. وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول:

على محمد صلاة الابرار ... صلى عليه الطيبون الاخيار
يا ليت شعري والمنايا اطوار ... هل تجمعني وحبيبي الدار
قد كنت قواما بكا ... بالاسحار

فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية طول. وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله
فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت. ولما احتضر بلال نادت امراته
واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وحزبه. ويروى ان امراة قالت لعائشة اكشفي لي
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت. ولما اخرج اهل مكة زيد بن
الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان
عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي
هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا
كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم. وعن ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عنه بارض عن ارض وما خرجت الا
حبا لله ورسوله. ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله واستغفر له وقال والله ما علمت صواما قواما
تحب الله ورسوله.

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في
حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته
واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه
ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار

ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤوا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى. حدثنا
القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى
البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد
الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم
قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة. فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة
ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال
ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله. ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره. ومنها كثرة
شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه. وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم
كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وصحبه. وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل
قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان. ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه. قال اسحاق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا
وكذلك كثير من التابعين رضي الله عنهم منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا. ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه
من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم
فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما
فاحبهما. وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه. وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب
الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله. وقال الله الله في اصحابي لا
تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد
آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه. وقال في فاطمة انها بضعة
مني يغضبني ما اغضبها. وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه. وقال آية الايمان
حب الانصار وآية النفاق بغضهم. وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم. فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه. وهذه سيرة
السلف في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع
الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله

ابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل نحو ذلك، ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه و
مجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته، قال الله تعالى لا
تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، وهؤلاء اصحابه
صلى الله عليه وسلم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته، وقال له
عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لأتيتك برأسه يعني اباه، ومنها ان يحب القرآن الذي
اتى به صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها، قال
سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه
وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة
حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الآخرة،
وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله
ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما، ومن علامة تمام محبته
زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري
ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله، وفي حديث عبد الله
ابن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله
اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه،

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك
وليست ترجع في الحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم كأنه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال
بعضهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها
وهيبة مخالفتها، وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب، وقال آخر ايثار المحبوب، وقال بعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب، وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما
كره، وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له، واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة
دون حقيقتها، وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل
طبع سليم مائل اليها لموافقتها له، او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة

باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال
الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه
اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها
فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه عليه
السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخ
لاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة، واما احسانه
وانعامه على امته صلى الله عليه وسلم فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين
رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فأي احسان اجل
قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة
من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم
الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب
لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد، فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه
الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة
او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب
الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته
او قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل، وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه، وذكرنا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم، قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية، حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله قراءة عليه حدثنا حسين بن
محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس
حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله

قال لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم. قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله
ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة. قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة كلمة
يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها
ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته من شمعه. وقال أبو بكر
ابن أبي إسحاق النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب. وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه. فنصيحة الله الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والإخلاص في عبادته. والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته
والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو
سليمان. وقال أبو بكر مؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها
ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة. وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي نصيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها. وقال أحمد بن محمد من
مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو بكر الآجري
وغيره والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر
والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه
قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية. وقال وينصرون الله ورسوله الآية
وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم
سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه
والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك.

فصل فعلى ما ذكر تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه. وحكى
الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما
فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته
ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي. وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من
أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم. والنصح لعامة
المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمور دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه
غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع

المنافع اليهم.

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وقال يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله. وقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الآيات. وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا. فأوجب تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه. قال ابن عباس
تعزروه تجلوه. وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه. وقال الأخفش تنصرونه. وقال الطبري
تعينونه. وقرئ تعززوه بزايين من العز. ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب. قال سهل بن عبد الله لا تقولوا
قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا. ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه
فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال وغيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به. وإلى
هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري. ثم وعظهم وحذرهم مخالفة
ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم. قال الماوردي اتقوه في التقدم. وقال السلمي
اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم. ثم نهاهم عن
رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته. وقيل
كما ينادي بعضهم بعضا باسمه. قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له
بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب
أن يدعى به يا رسول الله يا نبي الله. وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين. وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين
ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه. قيل نزلت الآية في وفد
بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون. وقيل نزلت الآية الأولى في محاورة كانت
بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما
وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم
وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن
يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت
نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة. فقتل يوم اليمامة. وروي أن أبا بكر
لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار. وأن عمر
كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الآية حتى يستفهمه. فأنزل الله فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك

أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. وقد قيل إن الذين
نادوه وفد من بني تميم الحجرات أكثرهم لا يعقلون نزلت في بني تميم فلما جاءهم. وروى صفوان
ابن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت جهوري أيا
محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت. وقال الله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا. قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا
عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه أن يرعى على كل حال
وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن
قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا والله أعلم

تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره وإجلاله

حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا
ثنا أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى
وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد أنا حيوة بن شريح حدثني يزيد
ابن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه
عنه قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه
وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه
وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من
المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر
وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما. وروى أسامة بن
شريك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير. وفي حديث صفته
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش
عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه ما رأى وأنه لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأ
كفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم
بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما
رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في
ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية إن رأيت ملكا قط
يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه. وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا. وعن أنس لقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة
إلا في يد رجل. ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى
الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم. وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع
طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه. وفي حديث قيلة فلما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما. وفي
حديث المغيرة كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير. وقال البراء
ابن عازب لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من
هيبته.

فصل

واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع
اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته. قال أبو إبراهيم التجيبي
واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته
ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي
الله عنهم. حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد
ابن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال
ثنا أبو الحسن علي بن فهر ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا
يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد
فإن الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما
فقال إن الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء
الحجرات الآية وإن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله
أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به
فيشفعه الله. قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية. وقال مالك وقد سئل عن أيوب
السختياني ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع
منه غير أنه إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله
للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه. وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة
والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث
خصال: إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء
والعباد الذين يخشون الله عز وجل، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله
عليه وسلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس
وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه، وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث
أخذه العويل والزويل، ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، وحرمته حيا وميتا سواء،
وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع، وكان
عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه
ما يجب له عند سماع قوله.

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا القاضي أبو الفضل بن خيرون قال نا أبو بكر البرقاني وغيره قالا نا أبو
الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا أحمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم
البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا
أو ما هو قريب من ذا، وفي رواية فتربد وجهه، وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه
وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي حازم
وهو يحدث فجازه وقال لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنا قائم، وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس
وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأنا مضطجع، وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر
عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع، وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له، وحكى مالك ذلك عن جعفر بن

محمد، وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث، قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم، قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث أو المسائل، فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه
وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا
حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن
أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا، قال
وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل، وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم، قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء، ونحوه عن
قتادة، وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم، وكان قتادة لا يحدث
إلا على طهارة ولا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء، قال عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله
لقد رأيت منك اليوم عجبا، قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال
ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل
من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي، وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي
عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض فقال القاضي أحق من أدب، وذكر أن هشام بن
الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه فحدثه عشرين حديثا
فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا، قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران، وكان قتادة يستحب ألا يقرأ أحاديث النبي صلى الله
عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة.

فصل: ومن توقيره صلى الله عليه وسلم
وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم، قال الله عز وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم، **أخبرنا** الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل من كتابه وكتبته من
أصله نا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر حدثني أبي نا حاتم
هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن إسماعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله
أهل بيتي ثلاثا، قلنا لزيد من أهل بيته، قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضي الله عنهم

وقال صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى اهل
بيتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما. وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد امان من العذاب. قال بعض العلماء معرفتهم
هى معرفة مكانهم من النبى صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه. وعن عمر بن ابى سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال
اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وعن سعد بن ابى وقاص لما
نزلت آية المباهلة دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم
هؤلاء اهلى. وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه. وقال فيه لا يحبك الا مومن ولا يبغضك الا منافق. وقال للعباس والذى نفسى
بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمى فقد آذانى وانما عم الرجل صنو
ابيه. وقال للعباس اغد على يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمى وصنو ابى
وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان ياخذ بيد اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما. وقال ابو بكر رضى الله
عنه ارقبوا محمدا فى اهل بيته. وقال ايضا والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الى ان اصل من قرابتى. وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسينا. وقال
من احبنى واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة
وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله. وقال قدموا قريشا ولا تقدموها. وقال صلى
الله عليه وسلم لام سلمة لا تؤذينى فى عائشة. وعن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضى الله عنه
وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى وعلى يضحك. وروى
عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كانت لك حاجة
فارسل الى او اكتب فانى استحيى من الله ان يراك على بابى. وعن الشعبى قال صلى زيد بن ثابت على
جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا. ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدى فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا
ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه. وقال الاوزاعى
دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد
العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه
فى ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنه عبد الله فى ثلاثة آلاف ولاسامة بن زيد فى

فى ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقنى الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على حبى. وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن
سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم انى جعلت
ضاربى فى حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيى منه
ان يدخل بعض آله النار بسببى. وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال اعوذ بالله والله ما
ارتفع منها سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى لبدات بحاجة على قبلهما لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الى من ان اقدمه عليهما
وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد
هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم آية فاسجدوا واى
آية اعظم من ذهاب ازواج النبى صلى الله عليه وسلم. وكان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما
يزوران ام ايمن مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزورها. ولما وردت حليمة السعدية على النبى صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى
حاجتها فلما توفى وفدت على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك.

فصل ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة
حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة
فى احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل لذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليهم امر بل تذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا
ذكر اصحابى فامسكوا. قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم الى آخر السورة. وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية. وقال لقد رضى الله عن
المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة. وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. حدثنا القاضى
ابو على نا ابو الحسين وابو الفضل قالا نا ابو يعلى نا ابو على السنجى نا محمد بن محبوب نا
الترمذى نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر
وقال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم. وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يطيب الطعام إلا به. وقال الله
الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي
أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه. وقال لا تسبوا
أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. وقال من سب أصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا.
وقال في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم
أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير. وقال من أحب
عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني. وقال مالك بن أنس رضي الله عنه من أبغض الصحابة وسبهم
فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية. وقال من
غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار. وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قال أيوب السختياني
من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور
الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح
وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما. وفي حديث خالد بن
سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها
الناس إني راض عن عمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا
لهم ذلك. أيها الناس إن الله قد غفر لأهل بدر والحديبية. أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري
وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدا. وقال رجل للمعافى
ابن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله. وأتي النبي صلى الله عليه
وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله. وقال صلى الله عليه وسلم في
الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم. وقال احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من
حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه
يوشك أن يأخذه. وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة
وقال من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني
إلا من بعيد. قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذين هدانا الله
به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع
لهم وبذلك أمره الله. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم. وروي عن
كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة يوم القيامة. وطلب من المغيرة

بن شعبة أن يشفع له يوم القيامة. قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من
لم يوقر أصحابه ولم يعزز أوامره. **فصل** ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام
مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله عليه وسلم أو عرف به.
وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت
الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده. وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة
من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب
بركتها وتقع في أيدي المشركين. ورئي ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه. ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر
دابة. وروي أنه وهب للشافعي رحمه الله كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك
منها دابة فأجابه رحمه الله بمثل هذا الجواب. وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن
فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة
منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده. وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة
ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة
دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة. وفي الصحيح أنه قال صلى الله
عليه وسلم في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله
عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته
الآكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول. وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار. وحدث أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم جعل يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا

لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة
والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد
البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات،
ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر
المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عبابها،
ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها، وتتنسم
نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدرانها.

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات	
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد	الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدرات	والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل	والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبدا ولو سحبا على	الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار	والحجرات
أذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالآصال	والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم	والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية. قال ابن عباس: معناه إن الله
وملائكته يباركون على النبي. وقيل: إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له. قال المبرد:
أصل الصلاة الترحم، فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله. وقد
ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، فهذا
دعاء. وقال أبو بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة،
وللنبي تشريف وزيادة تكرمة. وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة،
وصلاة الملائكة الدعاء. قال القاضي أبو الفضل: وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة، فدل أنهما بمعنيين. وأما التسليم
الذي أمر الله به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير: نزلت هذه الآية على النبي صلى
الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه، وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي
صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره. وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:
أحدها السلامة لك ومعك، ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة. الثاني:

أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله. الثالث:
أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد، كما قال: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما.

فصل: اعلم أن الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت، لأمر الله تعالى بالصلاة عليه،
وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب، وأجمعوا عليه. وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده
على الندب، وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرة. والواجب منه الذي يسقط به الحرج
ومأثم ترك الفرض مرة، كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام
وشعار أهله. قال القاضي أبو الحسن بن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة
على الإنسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك. وقال القاضي أبو
بكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما، ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها. قال القاضي أبو محمد بن نصر: الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة. قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد: ذهب
مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة
بعقد الإيمان، لا يتعين في الصلاة، وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه.
وقال أصحاب الشافعي: الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو
في الصلاة. قالوا: وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة. وأما في الصلاة فحكى الإمامان أبو
جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة
على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجب. وشذ الشافعي في ذلك
فقال: من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته
فاسدة، وإن صلى قبل ذلك لم تجزه، ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها. وقد بالغ في إنكار
هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة، وشنعوا عليه الخلاف فيها، منهم الطبري
والقشيري وغير واحد. وقال أبو بكر بن المنذر: يستحب ألا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن تركه تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل
المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم، وهو قول جل أهل العلم.
وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة، وأن تاركها في التشهد مسيء. وشذ
الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة. وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها
دون النسيان. وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فريضة. قال أبو محمد: يريد ليست من فرائض الصلاة، وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره. وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي. وحكى
أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال في الصلاة: الوجوب، والسنة، والندب.

وقد خالفه في هذه المسألة من أصحاب الشافعي وغيره الشافعيَّ في هذه المسألة. قال الخطابي
وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة
والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه
وقد شنّع الناس عليه هذه المسألة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي
وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر
وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه
صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر كان أبو بكر
يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي. قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره
وضعف أهل الحديث رواية هذا الحديث كلهم. وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. قال الدارقطني الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم. ورواه عن أبي جعفر جابر الجعفي

فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء. حدثنا
القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الإمام أبو القاسم البلخي قال ثنا الفارسي
عن أبي القاسم الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ قال ثنا محمود
بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن
مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو
في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه
فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما
شاء. ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم. وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل
محمد. وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم. وعن ابن مسعود
إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح. وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن
احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء
وأوسطه وآخره. وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن
وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه
أنجح. فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله
عليه وسلم. وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد. وفي حديث آخر كل دعاء محجوب
دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء. وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش
فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على
محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين. ومن مواطن الصلاة
عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان. وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم
أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي. وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند
الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب. قال أصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة
والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله. ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على
محمد لم تكن تسمية له مع الله. وقال أشهب لا ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم فيه استنانا. وروى النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بإكثار
الصلاة عليه يوم الجمعة. ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال أبو إسحاق بن شعبان
وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى
آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك
وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك. وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى
فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله
وبركاته. قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد. وقال النخعي إذا لم يكن في
المسجد أحد فقل السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين. وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد. ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم
يذكر الصلاة. واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد. ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن
حزم وذكر السلام والرحمة. وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم وأن هذا باب

في العاقبة. ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها
من السنة. ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي
وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية
بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض. ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى
الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب.
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة. حدثنا ابو القاسم
خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت نا ابو الهيثم
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات و
الطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض. هذا احد
مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد. وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول اذا فرغ
من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد ابن الـ
[illegible] عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم. واستحب اهل العلم
ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن
وقال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه قال نا القاضي ابو الاصبغ
عيسى بن سهل نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره قالوا نا ابو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال
اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل
على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت
على آل ابراهيم انك حميد مجيد. وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم. وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على
محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد. وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد

محمد. وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر نحوه.
وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي
بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو
عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن
عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين
عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة. اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد
النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد.
وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك
فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد. وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك
ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل
باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين
وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة. اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول. اللهم اعل على
بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم. وعنه ايضا في الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام

خ المطوعي

للمتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان
الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه
ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين. وعن طاوس عن ابن عباس انه كان
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واعطه سؤله في الآخرة والاولى كما
آتيت ابراهيم وموسى. وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا
افضل ما سالك لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت
مسؤول له الى يوم القيامة. وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه
وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على
محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد. ومما يوجد في الصلاة وتكميل الثناء
عن اهل البيت وغيرهم كثير. وقوله والسلام كما علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وفي تشهد
علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله
السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد
اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جاء في هذا الحديث عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة
وفي حديث الصلاة عنه ايضا الدعاء له بالرحمة ولم ياتي في غيره من الاحاديث المعروفة
المرفوعة. وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة و
المغفرة. وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه اللهم ارحم
محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته
قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته .... فصل

فصل في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء له

حدثنا ابو محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر
ابن معاوية ثنا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب
ابن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا
لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة. وروى
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات. وعن
انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا
ورفعه عشر درجات. ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل
فقال لي ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية
ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة. وعن زيد بن الحباب سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة
وجبت له شفاعتي. وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة.
وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر
له ما دام اسمي في ذلك الكتاب. وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر. وعن ابي بن كعب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة
عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله
فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك. وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى
الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج
جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا. وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة
آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم
القيامة. وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن واشهد ان لا اله الا الله

ما صلى علي صح

وحين اشهد له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر
له. وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة
وفي بعض الآثار ليردن علي الحوض اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي. وفي آخر ان انجاكم
يوم القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة. وعن ابي بكر رضي الله عنه
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق
الرقاب.

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي
قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن
ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال
عبد الرحمن واظنه قال او احدهما. وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر
فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه
السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله فقل
آمين فقلت آمين. وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك. ومن ادرك ابويه او احدهما
فلم يبرهما مثله. وعن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي
ذكرت عنده فلم يصل علي. وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة. وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي. وعن ابي
هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا
الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم. وعن ابي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة. وعن قتادة
عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي. وعن جابر عنه
صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
الا تفرقوا على انتن من ريح الجيفة. وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا
الجنة لما يرون من الثواب. حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل
على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس.

فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام

حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الفقيه ثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام. وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن
صلى علي نائيا بلغته. وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام. ونحوه عن ابي هريرة. وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
فانه يؤتى به منكم في كل جمعة. وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي
حين يفرغ منها. وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان
صلاتكم تبلغني. وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي
عليه الا بلغه. وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه
اسمه. وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي
حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم. وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم
الجمعة فان صلاتكم معروضة علي. وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم
وارد عليهم. وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي
من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل
اجساد الانبياء. وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى
انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا.

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم. وروي عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى
الله عليه وسلم. وروي عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين. وقال سفيان يكره ان يصلى
الا على نبي. ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد
من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في
المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره الصلاة على غير الانبياء. وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا
به. قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم

واحتج بحديث ابن عمر وما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى آله وعلى أزواجه. وقد وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى. وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني قالوا والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع. وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية. وقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى. وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان. وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته. وفي آخر وعلى آل محمد قيل أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة. وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة. وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي. ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد نفسه. وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود. وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته. وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر. وروى ابن وهب عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون الليل ويصومون النهار. قال القاضي رحمه الله والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقال التابعين لهم بإحسان. وقال والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه. وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم في الصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك

وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك. وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراه مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض. وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الاسفرايني من شيوخنا وبه قال أبو عمر بن عبد البر.

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي. حدثنا القاضي أبو علي قال ثنا أبو الفضل بن خيرون قال ثنا الحسين بن جعفر ثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق ثنا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر بمثله. وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة. وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي. وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري وقد أطلق اسم الزيارة. وقيل لأن ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى. وقال أبو عمران إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وأحب أن يخص بأن يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض. والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم. قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود

الرشيد كان يشير اليه وحواه جاء بالوحي فيه عليه · ومن عمر وفصة من الصحابة
والهيبة المسلمين لئن غشا حوله كله · وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا
انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون
على النبي ثم قال صلى الله عليك وسلم يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان لم تسقط له حاجة · وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز
فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه
مني السلام · قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام · قال بعضهم رايت انس بن
مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف · قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده
وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي
في القبلة عند القبر على راسه · وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة او
اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف
ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه · وعن
ابن قسيط والقعنبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة
المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون · وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى
الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر
وعمر · قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته · قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر · قال القاضي ابو الوليد الباجي
وعندي انه يدعو للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف
وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على
رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر
لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله
تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة
افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على
ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي
صلى

السلام

صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور الشهداء · قال مالك
في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما
بين ذلك · قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك · رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم
اني اسالك من فضلك · وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان · وعن محمد بن سيرين كان
الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا
مثل ذلك · وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى
الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا · وفي رواية حمد الله وسمى وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله · وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك · وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي · وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من
دخل المسجد وخرج من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء · وقال فيه ايضا
لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي
عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل
الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه
الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده · قال
ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك
رايي · قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة
مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم · وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد · وقال لا تجعلوا
قبري عيدا · ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا
يقف عنده طويلا · وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم · واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق

واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه

وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه. روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم. وعن ابن عباس انه مسجد قباء. حدثنا
هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ قال ثنا ابو عمر النمري قال ثنا ابو
محمد بن عبد المؤمن قال ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود قال ثنا مسدد قال ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد
ابن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى. وقد تقدمت الآثار في
الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد. وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله
العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. وقال مالك رحمه الله سمع
عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت. قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره. قال القاضي ابو
الفضل رحمه الله حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم. والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم. قال القاضي
اسماعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول الجهر على المصلين فيما يخلط
عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد
الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا. وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم صلاة
في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام. قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة
فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد
الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف
واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة
صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه بتسعمائة
وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول

عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى
تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد
الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل
حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا
بمائة صلاة وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة
في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي
ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة
الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه
وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة
وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي
ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا
الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني
الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي
قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك
منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما
انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال
السيوف والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى
ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها
وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال
لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه صلى الله عليه
وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا
عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه
وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار

كما قيل

النار

وقيل كان يقدم من يقبل من الخير حثوًا ونعلمه في الجاهلية. وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا على قول بعضهم. وحكي أن قومًا أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلًا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أنه من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار. ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبًا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك. وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب. وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس العذري حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له. قال ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي. وقال عمرو وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي. وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي. وقال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي. وقال محمد بن إدريس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي. وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي. قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئًا وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة. قال العذري وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي. قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه أشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأنا أرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذًا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصًا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته.

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل الآية. وقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام. وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. وقال قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية. فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر، ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم. قال الله تعالى ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا، أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته. وقال قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا. أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل. فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته. فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية. وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات، لا يلحقها غالبًا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية، إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر. ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى. فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن. وكما قال عليه السلام تنام عيناي ولا ينام قلبي. وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني. فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات. وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا تخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام، أو تطرأ بقصد واختيار، وكله في الحقيقة عمل وفعل، ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح. وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها. والنبي صلى الله

عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجهم عنهم وتنزيههم عن كثير من الآفات التي
تقع على الاختيار كما سنبينه إن شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل فيه

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته

اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته
والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء
من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع
إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض
على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله
له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم
الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته. الوجه الثاني أن إبراهيم عليه
السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله
أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك. الوجه الثالث أنه سأل زيادة يقين وقوة
طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة
والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة. ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل
كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله. الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين
بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا. الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية
الوجه السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة. وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا
بإبراهيم عليه السلام أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك
منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع
والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه. فإن قلت فما معنى قوله
فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك
أن تخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن. وحكى قتادة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل
المراد قل يا محمد للشاك إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله

قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي
صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير. قال بكر بن العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو إليه فكيف
يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره. ومثل هذه الآية قوله الرحمن
فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم
والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقيل إن هذا الشك الذي أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب عنه إنما هو فيما قصه من أخبار الأمم لا فيما
دعا إليه من التوحيد والشريعة. ومثل هذا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية المراد به
المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا
من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون على طريق
الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي. وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء
ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا من أن يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت
قاله ابن زيد. وقيل سل أمم من أرسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله إعلامه بما بعثت به الرسل وأنه تعالى لم يأذن في عبادة
غيره لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى
وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من
الممترين أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول
الآية وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل يا محمد لمن امترى في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله أول الآية أفغير الله أبتغي حكما وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره
وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت للناس وقد علم أنه لم يقل. وقيل معناه ما كنت في شك فاسأل تزدد طمأنينة وعلما
إلى علمك ويقينك. وقيل إن كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فاسألهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضائلك. وحكي عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما أنزلنا. فإن قيل فما
معنى قوله حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما
قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن
من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين وقيل الضمير في ظنوا عائد
على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من
العلماء. وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير سواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء. وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة

خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه من الله بعد رؤية الملك ولكنه لعله خشي الا
تحمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح
انه قاله بعد لقائه الملك او يكون قوله ذلك قبل لقائه واعلام الله تعالى له بالنبوة اول ما عرض
عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق
هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم
لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ثم قال ثم حبب اليه الخلاء
وقال الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنه مكث النبي صلى
الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره
بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها في
غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك الذي خلق قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في
قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق
من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد
بين في هذا ان قوله لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام
الله تعالى له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا امرا ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اسمع صوتا
وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما رآه ان هذا كله كان في اول
امره وقبل لقاء الملك واعلام الله له انه رسوله وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما
بعد اعلام الله له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد
روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل
عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من
يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها انما الحديث
انما ذلك لخديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحقق هو حاله
وقد روي من طريق عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة
رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم
انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك

بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث
الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا
يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
كي يتردى من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده
ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما
احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر
ابن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه
جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل ويا ايها المدثر او خاف ان الفترة لأمر او سبب منه فخشي ان تكون
عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا
فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى
في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله ان لن
يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة
وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه
وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو
قول ابن عباس رضي الله عنه والضحاك وغيرهما لا لربه عز وجل اذ مغاضبة الله معاداة له
ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب
او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره
الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا
وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية
بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله
ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة
اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة
مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين
وسوسة او ريبا وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه
قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشي

يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا
الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما
كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة
الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في
طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة
وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه
وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك أرفع حاليه رأى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها
وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا
أولى وجوه الحديث وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا إليه مال كثير من الناس وحام حوله
فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من أرباب القلوب
ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز
عليه في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما أهم خاطره وغم فكره من أمر أمته عليه
السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على
قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
صلى الله عليه وسلم عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره
وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى
الأمن وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى
هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا
يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن يجهل أن لو شاء الله
لجمعهم على الهدى وفي آية نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق
إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم
أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى إني أعظك وليس في آية منهما دليل
على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا

تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن
وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من
أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي وكذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم في الأخرى
بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو
بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أي فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه أبو محمد مكي رحمه الله وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة
الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء
من ذلك فما معنى إذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره
منه كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة الآية وقوله لأخذنا منه باليمين وقوله وإن تطع
أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقوله فإن يشأ الله يختم على قلبك وقوله فإن لم تفعل
فما بلغت رسالاته وقوله يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا
الله وإياك أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك به
ولا يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن الله
تعالى يسر أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه
ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون صلى الله
عليهما لا تخافا إني معكما لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب عنهم خوف
العدو المضعف للنفس وأما قوله ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقوله إذا لأذقناك
ضعف الحياة فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه
وسلم لا يفعله وكذلك قوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك فالمراد غيره كما قال إن
تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشأ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك
وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذا حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما
يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من
الظالمين **فصل** وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم
معصومون من قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت
الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من
القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف

بكم، وأشواله قبل أن يرو ... هذا الباب النقل، وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت
هذه سبيله، وأنا أقول أن قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الأمم
أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء
من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه، ولو
كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم
عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بتنهيهم عن ترك آلهتهم وما
كان يعبد آباؤهم من قبل، ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا
إليه إذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله تعالى عنهم، وقد استدل القاضي أيضا على تنزيههم عن
هذا بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية، وبقوله وإذ أخذ الله
ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق، وبعيد أن يأخذ منه الميثاق
قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره
من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه، وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه
السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه
حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدأ، ولا يشتبه عليك بقول إبراهيم في الكوكب
والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف ومذهب محققي الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه
ومستدلا عليهم، وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد فهذا ربي، قال الزجاج
وقوله هذا ربي أي على قولكم كما قال تعالى أين شركائي أي عندكم، ويدل على أنه لم يعبد
شيئا من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون
ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين
وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك، وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام، فإن قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، قيل إنه إن لم يؤيدني بمعونته أكن
مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل
من الضلال، فإن قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو
لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد
إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما
كانوا فيه من ملتهم، فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة
كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك، ومثله قول الشاعر
... فعادا بعد أبوالا، وما كانا قبل ذلك، فإن قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك

تنبيه

ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر، قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري
وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم، ونحوه عن السدي
وغير واحد، وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها، والضلال ها هنا التحير،
ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى
هداه الله إلى الإسلام، حكى معناه القشيري، وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه، وهذا مثل قوله
وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى، قال ابن عباس رضي الله عنه لم تكن له
ضلالة معصية، وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين، وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة
فهداك إلى المدينة، وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا، وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي، وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنه ووجدك
ضال فهدى أي اهتدى بك، وقال ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب
كما قال إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في
نبي الله لكفروا، ومثله عند هذا قوله إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة بينة، وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر لتبين الآية، وقيل ووجدك لم
يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء، ولا أعلم أحدا قال من المفسرين فيها
ضالا عن الإيمان، وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين
أي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة، وقال الأزهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا كما قال تعالى أن تضل إحداهما، فإن قلت
فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فالجواب أن السمرقندي قال معناه
ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، وقال بكر القاضي
نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال فقد كان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا
بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف إيمانا وهو أحسن
وجوهه، فإن قلت فما معنى قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم أنه ليس بمعنى قوله
والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى أبو عبد الله الهروي أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
إذ لم تعلمها إلا بوحينا، وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن
النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام
الأصنام قبل فلم يشهدهم بعد، فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو شبيه
بالموضوع، وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده، والحديث بالجملة منكر غير
متفق على إسناده فلا يلتفت إليه، والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل
العلم من قوله عليه السلام بغضت إلي الأصنام، وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم

ابن حبيب كلمة عمه وآله في تحصيل حظ الغنائم هذه وعزموا عليه فيه بحذر كراهية
لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل
يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا. وقوله في قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو
صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني
بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما. فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك
عنه فقال سل عما بدا لك. وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له
أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه
كان موقف أبيه إبراهيم عليه السلام. **فصل** قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد بان مما
قدمناه عقود الأنبياء عليهم السلام في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك
على ما بيناه. فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على
الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده. وقد ذكرنا منه في حق نبينا عليه الصلاة والسلام في
الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف
فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء
ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه. ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة
وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
إن شاء الله. ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
ودنياهم. وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية. وأحوال الأنبياء وسيرهم
في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة. وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك
عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم
اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم
ينزل علي فيه خرجه الثقات. وكقضية أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون
أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف
فيه ممن أجاز عليهم الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب
عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي من الخطأ في الاجتهاد

في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع. ونظر النبي واجتهاده
إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل. هذا فيما عقد عليه النبي قلبه. وأما ما لم
يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا
حتى استقر علم جملتها عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله
وقد كان لا ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده صلى الله عليه
وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل. وبالجملة فلا يصح
منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه
وأما ما تعلق بعقده من ملكوت السماوات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى
وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون
مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله إني لا أعلم إلا ما علمني ربي. ولقوله ولا خطر على قلب بشر
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين. وقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت
رشدا. وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم. وقوله أسألك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم
عليم. قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله. وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى
لا يحاط بها ولا منتهى لها. هذا حكم عقد قلب النبي في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية.
فصل واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه
بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس. وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو علي رحمه الله
قال نا أبو الفضل بن خيرون العدل نا أبو بكر البرقاني وغيره نا أبو الحسن الدارقطني نا إسماعيل
الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وكل
به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله تعالى
أعانني عليه فأسلم. زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير. وعن عائشة بمعناه. وروي
فأسلم بضم الميم أي فأنا أسلم منه. وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها. وروي فأسلم يعني
القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث.
ورواه بعضهم فاستسلم. **قال** القاضي أبو الفضل رحمه الله فإذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو
منه. وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة
نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته

بأخذ النبي صلى الله عليه وسلم واذى، وفي الصحيح قال ابو هريرة رضي الله عنه
عليه السلام ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة
فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت
قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا، وفي
حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في
وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه منه ولعنه له ثم اراد اخذه وذكر
نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان المدينة، وكذلك في حديثه في الاسرا، وطلب عفريت
له بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ، ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب
بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة
الشيخ النجدي، ومرة اخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك، وهو قوله تعالى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم الآية، ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة، وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره، وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده
في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب، وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه وقيل له
خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي، فان قيل فما معنى
قوله وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية، فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن
الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله
وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي، وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركنك، والنزغ ادنى الوسوسة، فأمره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او
رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى
امره، ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه، وقد
قيل في هذه الآية غير هذا، وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في اول الرسالة ولا بعدها، والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما يأتيه من الله
الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه لتتم
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته، فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية، فاعلم ان للناس في معنى هذه الآية اقاويل منها
السهل والوعث والسمين والغث، واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ها هنا
التلاوة، والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم آياته، وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد باشبع من هذا ان شاء الله
وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل

مثل هذا لا يصح، وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا، ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له
وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه
لا يجوز ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله تعالى
وامره ليبتليهم ويثيبهم، قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله، فان قيل
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان، وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان، وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان، فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد
مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس
الشياطين، وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان، وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه، والمروي
انه انما نبئ بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موت موسى، وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر انها كانت قبل نبوته، وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان
قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكره
للملك بشأن يوسف عليه السلام، وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع
بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا، واما
قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل
ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ
الصبي حتى نام، فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر
هذا ان كان قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة، واما ان جعلناه تنبيها على
سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة فيه وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله، فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه
من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا، اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف
بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا، واما وقوعه
على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله من جهة
الاجماع فقط، وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب، فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه الله اليه من وحيه لا على
وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض، وفي حديث عبد الله بن

عمرو قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمعه منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول
في ذلك كله إلا حقا. ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه
وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى إلا صدقا، وأن المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق
فيما تذكر عني وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل
عليكم، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم،
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف
مخبره على أي وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا كما قال أبو إسحاق. فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سؤالات، منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية إن شفاعتها
لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلا وفي أخرى والغرانقة العلا تلك الشفاعة ترتجى، فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها
على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي
رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه
السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى
تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية. فاعلم
أكرمك الله تعالى أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني
على تسليمه. أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل
صحيح وسقيم، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف
كلماته، فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة
وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن الشيطان قالها
على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر
يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من
المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها
ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب
الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة. قال أبو بكر البزار

المؤرخون

90

هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا
ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي
عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى
هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه، وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار
إليه البزار رحمه الله، والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، هذا توهينه من طريق النقل، فأما من جهة
المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه
الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من
القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام أو يقول
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم من هذا كله
وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه
أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان
عليه سبيل أو أن يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه، وقد قال الله ولو تقول علينا بعض الأقاويل
الآية، وقال تعالى إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج
المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من
المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه، ووجه ثالث أنه قد علم من عادة المنافقين
ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على
النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة
ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء
ردة، وكذلك ما روي في قصة القضية، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت، ولا تشغيب للمعادي
حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت، فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة
فدل على بطلها واجتثاث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على
بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين، ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن
فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر

أنهم كانوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم، فمضمون هذا ومفهومه
أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم
الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه قال صلى الله عليه وسلم افتريت
على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له
وهذا مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما
يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء، وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو
ما لا يكون، قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب، وأكاد أخفيها ولم يفعل
قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه
الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل، قال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن، وقد ذكرت
في معنى هذه الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله ترد سفسافها
فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا من
فتنته، ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية. وأما
المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين، فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى
الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم
وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو. وفي قول الكلبي أن النبي
صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه، وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر
ابن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان، وكل هذا لا يصح أن يقوله صلى الله
عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه. وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم
قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار، كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته
وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد، وأنه ليس من المتلو، وهو أحد ما ذكره
القاضي أبو بكر، ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع، والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن
ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه
وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى، وتحققهم من حال النبي
صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه، وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا

هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين والكفار وقلوبهم
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة، وقد
قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية، فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب
إلا أماني أي تلاوة، وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته، وقيل
معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه، وهذا
نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه، وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه، وهذا السهو في
القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو
عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما ذكرنا
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز، ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة
والغرانقة العلى، فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا، والمراد بالغرانقة العلى وأن شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية، وبهذا فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون
الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر
وله الأنثى، فأنكر الله تعالى كل هذا من قولهم، ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون
على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله
ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، ورفع تلاوة تلك اللفظتين التي وجد الشيطان بهما سبيلا للإلباس كما نسخ
كثير من القرآن ورفعت تلاوته، وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدي من يشاء، وما يضل به إلا الفاسقين، وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الآية. وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في
تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون، ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك عليه وأذاعوه وأن النبي صلى
الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك الآية
وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى
من قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الآية. ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه
بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا، فاعلم
أكرمك الله أنه ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس عليه السلام قال لهم إن الله
مهلككم، وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم
إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال
الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية، وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل

ما من الحسنات وقضايا بلة قاله ابن مغيث رضي الله عنه. وقال تميم بن جميل عصاهم العقلاء كما
تخشى التوبة الغير. فإن قيل فما معنى قوله في قصة عبد الله بن أبي سرح أنه كان يكتب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز
حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب. وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول له أكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول أكتب سميعا
بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت. وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن نصرانيا كان يكتب للنبي صلى
الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له. فاعلم ثبتنا الله
وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع في قلب
مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله
على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره. وقد صدرت
من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم ينقل عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة رضي
الله عنهم أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وإنما حديث الكذب الذي يفترون على الله ورسوله
هم الكاذبون. وما وقع من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل على
أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه. ورواه حميد
عن أنس قال وأظن حميدا إنما سمعه من ثابت. قال القاضي أبو الفضل وفقه الله ولهذا والله أعلم لم يخرج أهل
الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة
وذكرناه وليس فيه عن أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني إذ كتبه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول صلى
الله عليه وسلم قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة فطنة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك
للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما
لا يتفق ذلك في آية أو سورة. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان
فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه
فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في
بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. وهذه قراءة
الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف. وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير
المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشزها وننشرها ويقضي الحق
ويقص الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما. وقد قيل إن هذا
يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه

مقاطع

في وقت التركيب ما شاء. **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ وأما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال
نفسه. فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده
ومزحه وصحته ومرضه. ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه. وذلك أنا نعلم من دين الصحابة
رضي الله عنهم وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كان
وعن أي شيء وقع وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك
هل وقع فيها سهو أم لا. ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين أجلاهم
من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى
الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر
كذبت يا عدو الله. وأيضا فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد
في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله واعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان
ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام في رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل
وكان ذلك رأيا لا خبرا. وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم
والله لا أحلف على يمين فأرى خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني. وقوله صلى
الله عليه وسلم إنكم تختصمون إلي الحديث. وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل
هذا من مشكل هذا الباب والذي بعده إن شاء الله مع أشباههما. وأيضا فإن الكذب متى عرف
من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في
النفوس موقعا. ولهذا ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ
وكثرة الغلط مع ثقته. وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع
مسقط للمروءة. وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة. والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما
يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك. وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل
تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه. والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده إذ
عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك
ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من
الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ. نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن
ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد. وانظر أحوال عصر النبي صلى الله عليه
وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا
به مما عرف. واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد. وقد ذكرنا من

من القول فيه في الباب الثالث أول الكتاب ما فيه لمحة مما أشرنا إليه **فصل** فإن قيل فما معنى
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي **حدثنا** به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر
قال ثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو عبد الله بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا عبيد
الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد قال سمعت أبا هريرة يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال أقصرت
الصلاة يا رسول الله أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى
ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان
بعض ذلك يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها
ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه
من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب
من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره
لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن لمن اعتراه مثله وهو
قول مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة **منها** أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده
وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم
عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا
ووجه ثان أن قوله لم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام
وهذا محتمل وفيه بعد **ووجه** ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل
ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت **هذا** ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل
للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها **قال** القاضي أبو الفضل رحمه الله والذي أقول ويظهر لي
أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره
بقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر
لست أنسى ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو
من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق أنه نسي وأجري عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه
نسي **ووجه** آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وهو أنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها **فهذا** إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قول

في قول **وأما** قصة كلمات إبراهيم عليه السلام المذكورة أنها كذباته الثلاث المنصوصة
في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته إنها أختي
فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي إن كل مخلوق
معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت
وقيل بل سقيم القلب بما أشاهد من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم
فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته
عليهم وضعف ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل
استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه **وأما** قوله بل فعله كبيرهم هذا
الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق أيضا لا خلف فيه **وأما** قوله عليه السلام أختي فبين في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام
وهو صدق أيضا لا خلف فيه قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة **فإن قلت** فهذا النبي صلى الله عليه وسلم
قد سماها كذبات وقال لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن إلا هذه الكلمات ولما
كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها **وأما** الحديث كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده لئلا
يأخذ عدوه حذره وكتم وجهة ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن أخباره والتعريض بذكره
لا أنه يقول تجهزوا للغزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس
فيه خبر يدخله الخلف **فإن قلت** فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم
فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم
منك وهذا خبر قد أنبأ الله أنه ليس كذلك **فاعلم** أنه قد وقع في هذا الحديث من بعض طرقه
الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم منك فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا
خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله عليه السلام
في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة
الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله تعالى من علوم غيبه
كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم على الجملة بما تقدم وهذا أعلم على الخصوص
بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله عليه فيما قاله العلماء إنكار هذا

القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ولانه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك
لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه
عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه
وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم
من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن
قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى
نبي غيره الا اخاه هارون عليهما السلام وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا
جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
الخضر ولهذا قال الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه
من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح
من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب
القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو
اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي
العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله
معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا **واما** الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل
لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من
الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي
منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في اي امر كان يجب كونه
كبيرة **قال** القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة الا على معنى
انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير
من ائمة الفقهاء **قال** بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر
وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت

الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب
المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر **وقد ذهب** بعضهم الى عصمتهم
من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال
افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي
وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى
ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك رحمه الله التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر
اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم
به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن
الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر
او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله
عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله
عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى
هذا الماخذ تجب عصمته من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر والندب على الاقتداء بفعله
ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه **وايضا** فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا
بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة والعادة بقوله رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا خبرتيها اني اقبل وانا صائم **وقالت**
عائشة رضي الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والآثار في هذا اكثر من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم
افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن
ذلك ولما انكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه **واما** المباحات فجائز
وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما
خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله
والدار الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب

كذا في خصال عليه السلام. فبان لك عظيم فضل الله على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر أنبيائه
عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية. **فصل**
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح إن شاء الله
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن
المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع. **وقد اختلف** الناس في حال نبينا صلى الله عليه
وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا. فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء. وهذا قول
الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما
تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة. ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها. فذهب سيف السنة
ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع
وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به
من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة. **وذهبت**
طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا. وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أولى وأظهر. وقالت
فرقة أخرى بالوقف في أمره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم
يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عنده في أحدهما طريق النقل. وهو مذهب أبي المعالي. وقالت
فرقة ثالثة إنه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا. فوقف بعضهم عن
تعيينه وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم. ثم **اختلفت** هذه المعينة فيمن كان يتبع. فقيل
نوح. وقيل إبراهيم. وقيل موسى. وقيل عيسى صلوات الله عليهم. **فهذه** جملة المذاهب
في هذه المسألة. والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين
إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم بأن عيسى آخر الأنبياء فلزمت
شريعته من جاء بعده إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام. بل الصحيح أنه لم يكن لنبي
دعوة عامة إلا لنبينا عليه السلام. ولا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا
وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا. فمحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد
كقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة
تخصه كيوسف بن يعقوب على من يقول إنه ليس برسول. وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية
وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها. فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى
وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا أو يخالفون بينهم
أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية. وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له
وتقرر اتبعه. ومن قال بالوقف فعلى أصله. ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في
كل نبي. **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى

معصية ويدخل تحت التكليف. وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة
به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء. ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع
وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه. وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه. **أما** الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب. وقد ذكرنا
الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا
فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طروء المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة
التبليغ والأداء. وطروء هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن. واعتذروا عن
أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا. وإلى هذا مال أبو إسحاق. **وذهب** الأكثر من الفقهاء
والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز
عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة. وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على
الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها. **وأما** السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في
النبوة. بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى
كما تنسون فإذا نسيت فذكروني. نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب إفادة علم
وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن. بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن
وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن. فإن القائلين
بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول
بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين. **وأما** ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان
الأحكام من أفعاله عليه السلام وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه
فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه
وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء ولكن ليس
على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي
فأستغفر الله. وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته. **وذهبت** طائفة إلى منع السهو
والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم
القلوب والمقامات ولهم في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو عنه صلى الله عليه وسلم

قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى الله عليه
وسلم وما يمتنع وأحلنا في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية
على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه. الصحيح من الأحاديث الواردة
في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة أحاديث أولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني

حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين. الثالث حديث ذي اليدين. الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
خمسا. وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله تعالى فيه ليستن به
اذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال. وشرطه أنه لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع
الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه. وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير
مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق. وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني. وقال رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن. ويروى أنسيتهن.
وقال صلى الله عليه وسلم اني لأنسى أو أنسى لأسن. قيل هذا اللفظ شك من الراوي. وقد روي اني لا أنسى
ولكن أنسى لأسن. وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا
أو ينسيني الله. قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد اني أنسى في اليقظة وأنسى في النوم
أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع اقبالي عليه وتفرغي له. فأضاف
أحد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه. ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر. وذهبت
طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث الى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى
لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة. قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها. والسهو شغل. فكان عليه السلام
يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها. واحتج بقوله في الرواية
الأخرى اني لا أنسى. وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا
ليسن. وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا
في حال. ولا حجة لهم في قولهم انه أمر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لأنسى أو أنسى. وقد أثبت أحد
الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون. وقد مال الى هذا
عظيم من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه. ولا حجة
لهاتين الطائفتين في قوله اني لا أنسى ولكن أنسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي
لفظه وكراهة لقبه كقوله عليه السلام بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي. أو
نفي الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها. كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة. وقيل
ان الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وبه احتج من ذهب الى
جواز تأخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من أدائها الى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين. والصحيح
أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له. فان قلت فما تقول في نومه عن الصلاة يوم الوادي
وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي. فاعلم أن للعلماء في ذلك أجوبة منها أن المراد بأن هذا حكم قلبه
عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته. ويصحح هذا
التأويل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ما أتى علي نومة مثلها قط. وقوله صلى الله
عليه وسلم ان الله قبض أرواحنا. ولكن مثل هذا انما يكون منه لأمر يريده الله من اثبات حكم

وتأسيس سنة واظهار شرع. وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم.
الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا وأنه كان ينام
حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ. وحديث ابن عباس رضي الله عنه المذكور فيه وضوءه
عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ
لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر. ألا تراه في آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ. وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى اليه في النوم. وليس في
قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب. وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا. فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم
لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح. فقيل في الجواب انه كان من شأنه صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح ومراعاة
أول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته. فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول
نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم اني أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني. وقال لقد أذكرني كذا وكذا
آية كنت أنسيتها. فاعلم أكرمك الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ. أما نهيه عن أن يقال
نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله
اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت. وما كان من سهو أو غفلة من قبله فذكرها صلح أن يقال فيه
أنسي. وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل الى خالقه
والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه. واسقاطه صلى الله عليه وسلم لتلك الآيات
جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من أمته
أو من قبل نفسه الا ما قضى الله تعالى نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره. وقد يجوز أن ينسى
النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينساه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما
ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه.

فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك

اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك
من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها أفضت بهم
الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم. فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه. فاذا لم
يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح. وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله. فمن ذلك قوله تعالى لنبينا صلى
الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات

وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك . وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم . وقوله لولا
كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى . وما قص
من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى . وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا
الآية . وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآية . وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصة داود عليه السلام وقوله تعالى وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه وخر راكعا واناب . وقوله ولقد همت به وهم بها . وما قص من قصته مع اخوته . وقوله
تعالى عن موسى عليه السلام فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان . وقول النبي صلى
الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام
وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة . وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله . وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة . وقوله تعالى
عن نوح عليه السلام والا تغفر لي الآية . وقد كان قال الله تعالى له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون . وقال عن ابراهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين . وقوله عن
موسى عليه السلام تبت اليك . وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما
احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها . وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور
له . وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر . وقيل المراد بذلك امته
عليه السلام . وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري . وقيل
ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء . وبمثله والذي
قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها
هنا هي مخاطبة لامته . وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية . وبمآل المؤمنين في
الآية الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنه فمقصد الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ
بذنب ان لو كان . قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب . واما قوله تعالى ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة . وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى
قول قتادة . وقيل معناه انه حط عنه قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره وحكى معناه
السمرقندي . وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل انه حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي . وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري . وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك . ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته حرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه

واشفق منها . او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره . او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى
له بحفظ ما استحفظه من وحيه . واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك . قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل
كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم . فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن
لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل . وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط . اي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري . قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب . قال ومعنى عفا الله
عنك اي لم يلزمك ذنبا . قال الداودي روي انها تكرمة . قال مكي هو استفتاح كلام مثل
اصلحك الله واعزك . وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله . واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم
بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما
قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي . فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا
الآية . قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها . وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه رضي الله عنهم بل قد روي
عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون
في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا
ينفي ان يكون امر الاسرى معصية . وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق
فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم . ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم
مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى . وقيل لولا انه سبق في اللوح
المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم . فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله
تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا . وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن
علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاءوا الفداء وان شاءوا القتل على ان يقتل منهم عاما قابلا مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا
وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف
الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم
وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين . والى نحو هذا اشار الطبري . وقوله

وهي في قصة

عليه السلام لو نزل عذاب من السماء ما نجى منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي
من اخذ برأيه في اعزاز الدين واظهار كلمته واقامة عذره وان هذه القضية لو استوجبت عذابا
نجى منه عمر ومثله .. وعين عمر انه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا
لحله لهم فيما سبق وقال الترمذي وبه في والخبر بهذا ايا بث ولو نزل لنا جا ان يكون النبي صلى الله عليه
وسلم حكم بما لم يوح فيه ولا يجعل له من نبوة ولا يجعل الحكم اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك فان صح خرج
هذا الحديث اهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه عليه السلام في هذه الاية
ان تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء .. وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد
من عام .. فهذا كله يدل ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة
وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفه ما كتبه في اللوح المحفوظ من حلال الغنائم لهم لا على وجه

عز وجل

عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه وأما قول الله تعالى عبس وتولى الايات فليس فيه اثبات
ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام الله انه لم يتصد له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى
كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما
فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى .. وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام وأما قصة آدم عليه السلام وقوله فأكلا منها بعد
قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما .. قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله
اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية .. وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس
رضي الله عنه انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي .. وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها
ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا .. وقد روي عذر
آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع .. وقد
قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة .. واكثر المفسرين على ان العزم
هنا الحزم والصبر .. وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة
انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك اذا كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على
خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن
ان يكون ذلك قبل النبوة .. ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه

عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان .. وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم
انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس .. ولهذا قيل
انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة .. وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم .. فان
قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه .. وقوله في حديث الشفاعة ويذكر
ذنبه وانه نهي عن اكل الشجرة فعصى فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء
الله تعالى وأما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا .. وليس في قصة يونس عليه
السلام نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه .. وقيل انما نقم الله تعالى عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب .. وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله
لا القاهم بوجه كذاب ابدا .. وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك .. وقيل ضعف عن حمل اعباء
الرسالة .. وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم .. وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب
عنه .. وقوله اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد .. وقوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع
الشيء في غير موضعه .. فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه .. فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله .. او لدعائه بالعذاب على قومه .. وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ
وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا .. ومثل هذا قول
آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من
الجنة وانزالهما الى الارض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيه الاخباريون عن اهل
الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث
صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب .. وقوله فيه اواب .. فمعنى فتناه
اختبرناه .. واواب قال قتادة مطيع .. وهذا التفسير اولى .. قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على
ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا
وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره .. وقد قيل خطبها على خطبته .. وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد
وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه .. والى
نفي ما اضيف من الاخبار الى داود ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين
قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم .. وقيل ان الخصمين
اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الاية وأما قصة يوسف واخوته فليس
على يوسف منها تعقب وأما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط
وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء عليهم السلام .. قال المفسرون يريد من نبئ من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا
به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب .. وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم وأما قول
الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين

والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقوله عليه السلام عن ربه إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية في همه إذا. وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم
إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو
عنه وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف عليه السلام من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي
الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس
لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف عليه السلام لم يهم وأن الكلام
فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها. وقد قال الله تعالى عن المرأة
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم. وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. وقال وغلقت الأبواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي الآية. قيل في ربي الله، وقيل الملك. وقيل همه بها
أي بزجرها ووعظها. وقيل همّ بها أي غمها امتناعها عنه. وقيل هم بها نظر إليها. وقيل هم
بضربها ودفعها. وقيل هذا كله كان قبل نبوته. وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه. وأما
خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى. وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لا معصية في ذلك. وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي. قال ابن جريج
قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر. وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وإنما
وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه. وقد قيل إن هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة. وقوله تعالى
في قصته وفتناك فتونا أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء. قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك. وقيل معناه أخلصناك إخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه
استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى إلى ما يكره. وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا
يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى عليه السلام دافع عن نفسه من
أتاه لإتلافها. وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن
نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما
جاءه بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم. وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة
هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري. وقد تأوله قديما ابن عائشة
وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
وأما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع

وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل
منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء
الله لجاهدوا في سبيل الله. قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض
عليه وهي عقوبته ومحنته. وقيل بل مات فألقي على كرسيه ميتا. وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه
وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني. وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه
أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم. وقيل أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه. ولا يصح ما
نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن
الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله. وإن سئل لم لم يقل سليمان عليه السلام
في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة أشدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى. والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه. وقوله هب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان عليه السلام غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك
على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة
امتحانه على قول من قال ذلك. وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه. وقيل ليكون دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد
لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا. **وأما**
قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
وأهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ وأراد علم ما طوي عليه من ذلك لا أنه شك في وعد الله عنه
فبين الله له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه
مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فووخذ بهذا التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه
على ربه لسؤاله ما لم يأذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر
ابنه. وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأوله
وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه. وما روي في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق
قرية النمل فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح. فليس في هذا الحديث ما يقتضي
أن هذا الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه. ألا ترى أن هذا
النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما
أوحى الله إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين. وظاهر فعله أنه إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك. ولم يأت في كل هذا أمرا نهي عنه فيعصي
به ولا نص فيما أوحى الله إليه بزلة ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم. **فإن قيل** فما معنى
قوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا أو كما قال عليه

السلام والجواب عنه كما تقدم من مجوز الذنوب على الانبياء النبي ومن منع فضيرو عن نهي وتعليه

فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف
منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على
الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم
ينهوا عنها ولا امروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها
على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة
الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
ماخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى
افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة على مقتضى اللفظة كيفما كانت من سهو او تاويل
فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل
اخطا ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد صاحبي
السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف
ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء وقد قال المحتج لنفي
الذنب على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوا حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا
لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا
ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى
عليه السلام تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد فتنة سليمان عليه السلام وانابته
فسخرنا له الريح الى قوله وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة

كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او يستن
ليستن بهم في مؤاخذتهم فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم
ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف من
سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص
الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضا فيقال
لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبياء
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم
وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال
السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال صلى
الله عليه وسلم وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني
اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام
لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه
بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث
الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله و
الاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم
وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الآية وقال فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته
صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك
كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه
عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته من الكذب وخلف القول منذ نباه الله تعالى
وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب
وجد ومزح فيما يجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل
عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما
يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين

واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل

زايه ليلا وهو منكب في المسجد مع صبيغ فقال الفاصحة ثم قال ان الشيطان يجيء من افق
احمق عمرو الزم وابن خبيب ان يفرق في قلوبكما شيئا فتهلكا. هذي اكرهت الله اخرق
فوائد مما تكلمنا عليه في هذي الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام
فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها
وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه ويبتني عليها مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص بها
من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله
وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي في اخباره وبلاغه
وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في عمده وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع
خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به. وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحا
كم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم
يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين
يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او
يضيع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء المحققين
في عصمة الملائكة.

فصل في عصمة الملائكة عليهم السلام

اجمع المسلمون ان الملائكة
مومنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم. واختلفوا
في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة منهم الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون. وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون. وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون. وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية. وقوله
كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات. وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص
للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء
الله بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن
جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم. ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في هذا ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد
التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن
علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما. فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار
لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يوخذ
بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف

من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات
من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه. وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن
نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين
وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة. فاكثر المفسرين ان الله امتحن
الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن. قال الله
تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا
تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين
طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة. وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر
الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء
فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار. وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود. وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل
ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان عليه السلام فاكذبهم الله في ذلك ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه. قال الحسن هاروت وماروت
علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا. وكذلك قراءة عبد
الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان عليهما السلام وتكون ما نفيا
على ما تقدم. وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي والقراءة بكسر
اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا
وهم وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم. ومما يذكرونه من قصة
ابليس انه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله
فسجدوا الا ابليس. وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة من الارض
حين افسدوا. والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ. وقد قال الله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن. ومما رووه في الاخبار ان طائفة من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا
ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا
ثبوت لها ولا تصح الاخبار فلا نشتغل بها.

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية [الدنيوية]

ويطرأ عليهم من العوارض البشرية :. قد قدمنا أنه
صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل من البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس
بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب
الله على أهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار
وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله
عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص
عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم
من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا عليه السلام من الناس فلئن لم يكف
نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون
قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه
من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى
وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال
النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن
إليهم :. قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية
المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا
عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم
قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني
ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي :. فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه
وظاهره :. وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه :. وهو صلى الله
عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا
من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه :. وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت
قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم لقوله صلى الله
عليه وسلم لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني :. وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه :. فصل فإن قلت فقد

جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي
بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا محمد بن يوسف نا البخاري
نا عبيد بن إسماعيل قال نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء
ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن الحديث صحيح متفق عليه
وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد
نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض
وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد
أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شيء من تبليغه وشريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا وإنما
هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة
للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان :. وأيضا
فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن :. وقد قال سفيان
وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله
ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخييلات :. وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة
هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم
وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد
من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث :. وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن
المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه
من البئر :. وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم :. وذكر عن عطاء الخراساني
عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينما هو نائم أتاه ملكان
فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة سنة حتى أنكر بصره :. وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنه
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان
وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه
لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف
جسمه وأمرضه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه

ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما
يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر. ويكون
قول عائشة في الرواية الأخرى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره
كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل
إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه. وإذا كان هذا لم يكن فيما
ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا. **فصل**
هذي حالة في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول
والفعل. **أما** العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك
أو ظن بخلاف أمور الشرع كما **حدثنا** أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا
انا أبو العباس أحمد بن عمر نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد بن عمرويه نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله
ابن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا نا النضر بن محمد قال حدثنا عكرمة نا أبو النجاشي
نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا
بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر. وفي رواية
أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم. وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن. وفي حديث
ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله
فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب. وهذا على ما قررناه فيما قاله
من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة
سنها. وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر
أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب
والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله. وقد قال الله تعالى وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة
بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه. فمثل هذا وأشباهه من
أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه إذ ليس في
هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه
بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة
الدينية والدنيوية. ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله
عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر
مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب. **فصل** وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر

أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد
فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن
يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ
منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار. **حدثنا** الفقيه أبو الوليد رحمه الله نا الحسين بن محمد
الحافظ نا أبو عمر نا أبو محمد نا أبو بكر نا أبو داود نا محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة
عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث. وفي
رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له.
وتجري أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين
الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون
حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في
أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم تكن
للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته
لأنا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله له
بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة. فأجرى الله أحكامه على ظواهرهم التي
يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتي
ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ
وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته
وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته.
فصل وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف
فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضا أو غضب وأنه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم. هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب.
فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما
لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته
لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك
على ابن الناقة. وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لأن كل
جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض. وقد قال صلى الله عليه وسلم إني لأمزح ولا أقول إلا
حقا. هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الدنيوي

الرضوية فلا يقع منه ايضا ما لا يجوز عليه ولا يقع او يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن
خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى اذا قوله
تعالى له في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه
اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها
اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال
نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله عز وجل يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي
اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها
ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم
مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة
الله بل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان
على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته
طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
قال القشيري رحمه الله وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله
عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو
الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله
اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في
نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها
ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل
كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة
واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة
معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه

واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عن المحققين
من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما
في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال
ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما
معناه الاستحياء اي تستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من
الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله
له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية
كذلك قوله له هاهنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله
عنهما لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء
ما اخفاه فصل قال فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه
لا يقع منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا
غضب فما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله قال انا القاضي ابو الوليد قال انا ابو ذر قال انا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد
الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني
اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان
الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى
اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب
الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من
يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر
قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون
من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول
اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح
ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش
واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا
روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن
سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا

ورويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام
والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال
الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم
بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه
يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو
هذا. وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من
بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق. وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره
لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها
من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه
لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف
عنه إذ لم تكن عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك
كما قال إن النبي اشتد به الوجع. وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج
بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون
المصيب والمخطئ مأجورا. وقد علم عمر تقرر الشريعة وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم أكملت
لكم دينكم. وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي. وقول عمر حسبنا كتاب الله
رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن
في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة
الوصية. وقيل إنه كان من النبي لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون فلما
اختلفوا تركه. وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب
لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل
التي ذكرناها. واستدل في هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن كان الأمر فينا علمناه. وكراهة علي رضي الله عنه هذا وقوله والله لا أفعل الحديث. واستدل
بقوله دعوني فإن الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني
مما طلبتم. وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. **فصل** فإن قيل فما وجه حديثه
أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه نا أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي
نا أبو أحمد الجلودي نا إبراهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن أبي سعيد
عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم

اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته
أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة. وفي رواية فأيما أحد دعوت
عليه دعوة. وفي رواية ليس لها بأهل. وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته
فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة. وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من
هذا كله. **فاعلم** شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن أمره فإن
حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه
بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه ولعنه له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل
هذا بمن لا يستحقه من مسلم. وهذا معنى صحيح. ولا يفهم من قوله عليه السلام أغضب كما يغضب
البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه
أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو عنه. وقد يحمل
أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله. وقد يحمل ما ورد من دعائه
هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس
المراد بها الإجابة كقوله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ولا أشبع الله بطنه وعقرى حلقى وغيرها
من دعواته. وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن فحاشا
وقال أنس لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل
الحديث على هذا المعنى ثم أشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في
الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة. وقد يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له
لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس
والقنوط. وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك كفارة لما أصاب
وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن
أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة. **فإن قلت** فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم
له حين تخاصم مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن
كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى
يبلغ الجدر. **فالجواب** أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة
أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه. ولهذا
ترجم البخاري رحمه الله على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم

ن كريه آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير. وقد جعل المالكية
هذا الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح. وكذلك
الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعدٍّ حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة
قال له ضربتني بالقضيب فلا أدري أعمدا أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك
بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله. وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام
أن ينتصر منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى
فضربه بعد ثلاث مرات وهو منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب
لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه. وأما حديث سواد بن عمرو أتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني
فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه. فإنما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به
ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما
قدمناه. فصل وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات
ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه. وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها
على الندور إذ عامة أفعاله على السداد والصواب. بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه إذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة
ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته. وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد
وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته. وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية
بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة
ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ
وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته. وكذلك يفعل الفعل من أمور
الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يظهر خيرا منه كما يترك الفعل
لهذا وقد يرى غيره خيرا منه. وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه
صلى الله عليه وسلم من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو
على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة أن يقول الناس
إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة
لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين

للعرب وأهله فقال لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت
البيت على قواعد إبراهيم. ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه
بدر إلى أقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط
وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل
له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه. ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه
حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث
أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه. قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه
الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه. يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين. فإن قلت
فما معنى قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول
وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما
يبطن ويقول في ظهره ما قال. فالجواب أن فعله صلى الله عليه وسلم كان استئلافا لمثله وتطييب
نفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام. ومثل
هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية. وقد كان يستألفهم بأموال
الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة. قال صفوان لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي. وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة ولا سيما وكان
مطاعا متبوعا. ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض
الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود. فإن قيل فما معنى المعضل الوارد في
حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا
أن يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال
ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله
عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة رضي الله
عنها كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة
فاعلم أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر
طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض فيها إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة
وقال وإن أسأتم فلها. فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء له ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك. ووجه ثان أن قوله عليه السلام اشترطي لهم
الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان
النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل إن الولاء لمن أعتق فكأنه قال اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير

تا بم .. والى هذا ذهب الترمذي وغيره . وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وعزمهم على ذلك
دل على علمهم به قبل هذا . الوجه الثالث ان معنى قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء واشترطي
لهم معناه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم
مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه **فان قيل** فما معنى فعل يوسف باخيه اذ جعل السقاية
في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا .

فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف عليه السلام كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا
ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية . فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما
فيه **وايضا** فان يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد
هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك **واما** قوله
تعالى ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم عليه جواب بحل شبهه ولعل
قائله ان حسن له التاويل كائنا من كان بحكم على ظاهر الحال لهم .. وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له .. وقيل غير هذا .. ولا يلزم ان تقول الانبياء عالم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من
الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله على جميعهم وهم
خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله واياك ان افعال الله كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم
الله الذين امنوا منكم ويعلم الصابرين ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
فامتحانه تعالى اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا
في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او
غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو
يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد بن
زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي
الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة .. وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير
الايات الثلاث **وعن** ابي هريرة ما يزال البلاء بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما
عليه خطيئة **وعن** انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده

بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا .. واذا اراد الله بعبد الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم
القيامة .. وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه .. وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم
على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب
والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلاء .. وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف عليهما السلام كان سببه
التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له .. وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي
وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار
ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان
مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نص الله عليها .. وروي عن الليث
ان سبب بلاء ايوب عليه السلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب
فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه .. ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة
اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده **وهذه** فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه
وسلم .. وعن عبد الله قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل
ذلك .. وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء .
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط .. **وقال** المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان
المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة .. وروي هذا عن عائشة رضي الله عنها وابي ومجاهد
وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه .. وقال في رواية عائشة رضي
الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها .. وقال في رواية
ابي سعيد رضي الله عنه ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه .. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما من مسلم يصيبه اذى
الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر .. وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم
وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم
وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت
الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة .. وقد قال
صلى الله عليه وسلم مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة

رضي الله عنه من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت . وكذلك المومن يتكفا بالبلا . ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله . معناه ان المومن مرزا مصاب بالبلا . وانه خاضع لربه راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها . فاذا ازاح الله عن المومن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته . والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصما حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه الحين على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف الارزة . وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون . وكذلك عادة الله تعالى في اعدايه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية . ففجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة . ولهذا ما كره السلف موت الفجاة . ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاة . وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقا ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويودي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده . وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة . واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا . وهكذا سيرة عباد الله المومنين واوليايه المتقين . وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملا الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون . قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته . وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمومن واخذة اسف للكافر او الفاجر . وذلك لان الموت ياتي المومن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جا . وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه . وتاتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون . فكان الموت اشد شي عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شي له . والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره الله لقاه .

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام . وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه . قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا . وقال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم . وقال تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما . وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية . وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المومنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المومنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزا به . وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت . وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال . وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينيذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزيون ذريعة الى اذاه والازرا به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزيين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه . فحمل محققو العلما نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة . وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شا الله ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله تعالى منع من ندايه به بقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا . وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال . وقد روى انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم . وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري . وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن . واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسما الانبيا اكراما لهم بذلك وغير اسماهم وقال لا تسموا باسما الانبيا . والصواب جواز هذا كله بعد النبي صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق

الصحابة على ذلك. وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه ابا القاسم. وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه. وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان اسم المهدي وكنيته وسمى
به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس. وقال ما ضر احدكم
ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة. وقد قضينا الكلام في هذا القسم على ما قدمناه

الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نص

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله: اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه
وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه
بشيء على طريق السب له والازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا
كان او تلويحا. وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق
الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى
من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه. وهذا كله اجماع من
العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا. قال ابو بكر بن المنذر: اجمع
عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل، وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد
واسحاق وهو مذهب الشافعي. قال القاضي ابو الفضل رحمه الله: وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء. وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي
في المسلم لكنهم قالوا هي ردة. وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك. وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة
واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه. وقال سحنون فيمن سبه: ذلك ردة
كالزندقة. وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني
ان شاء الله. ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة. وقد ذكر غير واحد
الاجماع على قتله وتكفيره. واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير
المستخف به، والمعروف ما قدمناه. قال محمد بن سحنون: اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص
له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر.
واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم. وقال ابو سليمان الخطابي: لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما. وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية
وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب: من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب.
قال ابن القاسم في العتبية: من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق،
وقد فرض الله تعالى توقيره وبره. وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة: من شتم النبي صلى الله عليه

وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله. ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول: من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه
او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب. وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال: من سب النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب. وقال اصبغ: يقتل على
كل حال اسر الشتم او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف. وقال عبد الله بن عبد الحكم: من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب. وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك. وروى ابن
وهب عن مالك: من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم، ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم، وسخ
اراد به عيبه قتل. وقال بعض علمائنا: اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء
من المكروه انه يقتل بلا استتابة. وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الجمال يتيم ابي طالب بالقتل. وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي
صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم: تريدون تعرفون صفته هي صفة
هذا المار في خلقه ولحيته. قال: ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان.
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون: من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل. وقال في
رجل قيل له: لا وحق رسول الله، فقال: فعل الله برسول الله كذا وكذا، وذكر كلاما قبيحا، فقيل له: ما تقول
يا عدو الله؟ فقال اشد من كلامه الاول ثم قال: انما اردت برسول الله العقرب. فقال ابن ابي سليمان للذي
سأله: اشهد عليه وانا شريكك، يريد في قتله وثواب ذلك. قال حبيب بن الربيع: لان ادعاءه التأويل
في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له
فوجبت اباحة دمه. وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل: ادّ واشك الى النبي، وقال: ان سألت
او جهلت فقد جهل وسأل النبي، بالقتل. وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم
وختن حيدرة وزعمه ان زهده عليه السلام لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه
لهذا. وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير
من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة
من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره
من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار. وحكى
بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان
آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه. فقال يحيى بن عمر: صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: لا يلغ الكلب في دم مسلم.
وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط: من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا
قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته

وقال حبيب بن الربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون
استتابة. وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص
معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب. فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله
لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم. وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد
إن شاء الله. وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه
من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمانه أو بالميل إلى نسائه فحكم
هذا كله لمن قصد به نقصه القتل. وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه.

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام

فمن القرآن لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه صلى الله عليه
وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى
إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية. وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله
تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي
في الدنيا. وقد يقع اسم القتل بمعنى اللعن. قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أنى يؤفكون أي لعنهم الله ولأنه
فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم
مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل. وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الآية. فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا. وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن
تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل إلا الكفر والكافر يقتل. وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما
لم يحيك به الله. ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير. وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو أذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. وقال ولئن سألتهم ليقولن
إنما كنا نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم. قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول
الله صلى الله عليه وسلم. وأما الإجماع فقد ذكرناه. وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله
أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال ثنا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيوة
ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه رضي الله عنهم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه. وفي الحديث الصحيح
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله
ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله
إياه لغير الإشراك بل للأذى. وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه. وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا

تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم. وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من
يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله. وكذلك لم يقل جماعة ممن كان
يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل
الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه. وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن
أبي معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله. وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني
عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير. وروي أيضا أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم
فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها. وروي أن رجلا كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه. وروى ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم. وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة
غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا
ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ليس يشبه الحدود. وعن ابن عباس
رضي الله عنه هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها
أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان. وعن ابن
عباس أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فأهدر دمها. وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه
فغضب على رجل من المسلمين. وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا
بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه فقلت يا خليفة رسول الله دعني
أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال القاضي
أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد. فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى
الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو أذاه أو سبه. ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من
الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه. وسأل الرشيد مالكا في
رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير
المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلد. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب
مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما
ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشهر بعلم أو من لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه

او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب أم غير سب أو يكون رجع وتاب
عن سبه فلم يقله لعلمه بذلك وانه قالت جماعة على قتل من سبه كما قررناه. ومن أعل قتله من جهة
الكفر والاعتبار ان من سبه او تنقصه عليه السلام فركهن علامة على مرض قلبه وبرهان سوء
طويته وكفره. ولهذا ما احتكم له كثير من العلماء بالردة. وفي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي
عيسى وقول الثوري وأبي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتله حدا وان لم يحكم
له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح
كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله
لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم. قال أهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك يأكلك. ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل. وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه
قد غير دينه. وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه. ولان لحكم النبي صلى الله
عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره. فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه
الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين
الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أول
الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لأصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا. ويقول لا
يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه. وكان يرفقهم
بالعطاء والاحسان وبذلك أمره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين. وقال ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم. وذلك لحاجة الناس للتأليف أول الاسلام وجمع الكلمة عليه. فلما استقر وأظهره الله على
الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله
غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل ذلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان
به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة. وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب
ابن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين. وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر وأكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية
ومع أمثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان

وكان مع هذا عليه السلام يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله عليه وسلم
على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم وقام منهم للدين وزراء
وأعوان وأنصار كما جاءت به الأخبار. وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال. وقيل
لعله لم يثبت عنه عليه السلام من أقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم تصل رتبته الشهادة في هذا
الباب من صبي أو عبد أو امرأة. والدماء لا تستباح الا بعدلين. وعلى هذا يحمل أمر اليهود في السلام
وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح
بذلك لم تنفرد بعلمه. ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في
سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا في الدين. فقال ان اليهود اذا سلم أحدهم فانما
يقول السام عليكم فقولوا عليكم. وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين ان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله
عليه وسلم. وأيضا فان الأمر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من أهل
الذمة والعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب. وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار
الدين بحكم ظاهرهم. فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا
في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه
وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب أخذ الثأر. وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن أنس رحمه الله. ولهذا قال عليه
السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه. وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم. وهذا بخلاف اجراء
الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها. وقد قال
محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم. وقاله القاضي أبو الحسن
ابن القصار. وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة
الله الآية. قال معناه اذا هم أظهروا النفاق. وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم ان
قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما قبلها. وقال بعض مشايخنا لعل القائل
هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن
عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها
فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه. وكذلك
يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي
لا بد من لحاقه جميع البشر. وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال. وهذا دعاء على
سآمة الدين ليس بصريح سب. ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض

اليمن او غيره حيث النبي صلى الله عليه وسلم، فان حقيق علينا ان نبينه وليس هو ابن نجيح جاء التثبت
واما هذا تعريض ما ذكر. قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
عليه السلام سواء. وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا عن هذا الفرق بحجج ما تقدم ثم قال ولان في
في هذا الفرق هل كان هذا التخويف من اهل الفهم والائمة او العرب وانت لم توجب القتلة للاذى
العميل والله ولم يقع ذلك كله وانه كثير من هؤلاء اليهود مقصرات الا منبتا والمنافقين عن الوصف لقلتهم
يومئذ. ولهذا نزهت التلفظ على حيث الفتنة والخروج. فصل: فان قيل اخترناه للتاليف
ولئلا يتحدث الناس عنه ولئلا يذكر عن مثل هذا. قيل وقد نصر لهم صلى الله عليه وسلم على
عزة وتمكن وفتح عظيم من سنيه الى ان نصره الله عليهم وقد زلزلهم في قتل من قتل منهم واجلاهم عن
صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيو
تهم بايديهم وايدي المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف
المسلمين واجلاهم عن جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا
وكلمة الذين كفروا السفلى. فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه صلى
الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يوتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله. فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم منها وانما
يكون ما لا ينتقم منه فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله
به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة
وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه. وقد قال بعض علمائنا ان اذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره. واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
ما يجوز للانسان فعله وان تاذى به غيره. واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله وبقوله
في حديث فاطمة انما بضعة مني يوذيني ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة
رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا. او يكون هذا مما اذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه
عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها
ومثل هذا ما بلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم
كما قررناه قبل وبالله التوفيق. فصل: قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد تقدم الكلام في قتل
القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه. الوجه
الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب
والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او
اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه

او زهده او تكذيب ما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد
لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في حقه وان ظهر بدليل حاله انه
لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مرا
قبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون
تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله
في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان. وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه. وقال محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى
الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه. وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى
زلل اللسان في مثل هذا. وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه
يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه. وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه
ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله به واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه. وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود. ولا يعترض على هذا بحديث حمزة رضي الله
عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي. قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم
انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها
معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون. فصل: الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه
فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته
ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف
في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة
فيما قاله من كذب او غيره وان كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه
قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان
يرجع. وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء
تقوله يقتل. قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد فيستتاب. وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا. قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع
الفرية على الله. وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب
فان تاب والا قتل وان كان معلنا بذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة. وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر جاحد. وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه
عند الامة القتل. وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود
قتل لم يكن عليه السلام باسود. وقال نحوه ابو عثمان الحداد وقال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه

كان قد اهدر دمه ولم يكن ثمامة قتل. قال حبيب بن الربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر
وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة ان شاء الله. **فصل** الوجه الرابع ان
ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة
اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. فمنهم من
غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول. وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي
محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا
الشتم. وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم
يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة
تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها
كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن
يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه. هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل
قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة
عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل
فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد
كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد
اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه. وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن
قال لعن الله العرب ولعن بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم
ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان. وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من
حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه السلام
وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة. ومثل هذا ما يجري في كلام
سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل
في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من
الانبياء على علم لقتل. وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال انما اردت
الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من اهله او

او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص
بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم. وقد رأيت لابي موسى بن مناس فيمن
قال لرجل لعنك الله الى آدم عليه السلام انه ان ثبت عليه ذلك قتل. قال القاضي رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا
رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت
فكان شيخنا ابو اسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف
عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد
الله بن الحاج بنحو من هذا. وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب
ما شهد عليه به اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه. وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد
الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال
قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله
وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه. وقد حكي
عن [illegible] من الفقهاء اسمه محمد [illegible] لمثل هذا [illegible] انه سمع رجلا اسمه محمد ويقول له [illegible]
الله [illegible] يا محمد [illegible] محمد بن [illegible] ان رسول الله [illegible] والله [illegible]
[illegible] الانبياء [illegible]
فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه
ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة
لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي
وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام
او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم
او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم
انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه
وحلم على اكثر مما صبرت. وكقول المتنبي

انا في امة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول والمتساهلين في الكلام. كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب ... غير ان ليس فيكما من فقير

على ان آخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد من ابيه بديل
هو مثله في الفضل الا انه ... لم ياته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم
والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه

اشر نحو منه قول المعري ∴ وإنما أمارته وآياته ∴ صعقت من حاجبي عمي بيت

وقول الآخر من أهل العصر ∴ فر من الخلد واستجار بنا ∴ فصبر الله قلب رضوان ∴

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون

∴ كأن أبا بكر أبو بكر الرضى ∴ وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في
ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلا
مهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحا
وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن حد
الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصا ولست أعني عجزي بيتي
المعري ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء
ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل
لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره
ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة (القتل)
تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه
أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله

∴ فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ∴ فإن عصا موسى بكف خصيب ∴

وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته وذكر
القتيبي أن مما أنكر عليه أيضا وكفر فيه أو قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي عليه السلام (فائدة)

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ∴ خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد أنكروا أيضا على أبي نواس قوله ∴ كيف لا يدنيك من أمل ∴ من رسول الله من نفره ∴ لأن حق الرسول
صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف فالحكم في مثل هذا ما
بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله وأصحابه
ففي النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي
صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى
أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله
عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمرنا
الله ∴ وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك

الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع
دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه
جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب
وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما
أنكر حاله من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب
مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة
مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن (العاقبة)
أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي
أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن
القابسي أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه
وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن
جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله
فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله
في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى
النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء
الأندلس أفتى بقتله

فصل

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة وجوه الوجوب
والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس
على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات
الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع
بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن
المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته
لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته
وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين
ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به
القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير

منه. وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا. وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن
الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته. قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك
واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض
النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح
واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب. وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد
عليهم بما تلاه علينا في محكم كتابه. وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة. واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى المسلمين على حكايات مقالات
الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان وقع لاحمد بن حنبل
انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها. فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من
بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام
من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة
اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد
وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري
فقال مالك انما سمعناه منك. وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله
وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك
او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه او رواية اشعار هجوه صلى الله عليه
وسلم وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل
الى الهاوية امه. وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم فهو كفر. وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به
النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين
لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة
وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه. وهذا
ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى في كتبه فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار
العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته
او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل

الوجه السابع ان
يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به
ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له
ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت به العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة
اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه
لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا
عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله تعالى
بذلك عن موسى عليه السلام. وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد
به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم
الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم
العلم. وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين. ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الناس
الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه. ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في آبائه
من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه. وان اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب
المتقدمة واخبار الامم السالفة. وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابي طالب. وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة
ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل
لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة
اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في
نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة. فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة
نفسه وثبات روعه. وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر

ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن أورد شيئا منها موارده
وقصد بها مقصده كان حسنا. ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول
التي قدمناها. وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره
إشكال يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها إلا
بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء. وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها
فأكثرها ليس تحته عمل. وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاته في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم
جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها
ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على
ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر. فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر
منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه صلوات الله عليهم ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها
والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على جهة التعريف بأنها ضعيفة المعاني واهية
الإسناد. وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة
موضوعة لا أصل لها ومنقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها
ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس
بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس. **فصل** ومما يجب على المتكلم
فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا
على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب
من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند
ذكره فإذا ذكر ما قاساه من البشر أن يظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم
على مجاري أعماله وأقواله صلى الله عليه وسلم تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه
واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب
لفظة الكذب جملة واحدة. وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن

بمكان يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا
تكلم في الأفعال قال هل تجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو أولى
وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره
عليه السلام وما يجب له من تعزير وإعظام صلى الله عليه وسلم وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم أستصوبه من عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله. وإذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه
وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا. فأما
ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب
جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتوقيره
عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا. وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن
كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به
[illegible]

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا
إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج
عليه. وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك رحمه الله وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا
كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل
وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود. **قال الشيخ**
أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده
وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه. وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل. وكذلك قد اختلف في
الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال أقتله
بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم
من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة.
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم
أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه

والتب. واحتجوا بانه لا تقبل توبته وعن الشافعي قولان واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف .. وحكى ابن
المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب .. قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر .. وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق
بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا
من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه
وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره
من الادميين فقبلت توبته .. ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق للادميين .. فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده او يقذف .. فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف .. وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت
لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرها .. ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة **قال القاضي** ابو الفضل رحمه
الله يريد والله اعلم ان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته
واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه .. وقال
ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب
من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا
وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال
به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم
المرتد مطلقا في هذا الوجه .. والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه .. ونحن نبسط الكلام فيه .. فنقول
من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه
به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي وتحقيره ما عظم
الله من حقه .. واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب .. فان قيل
وكيف تثبتون الكفر عليه ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثباته
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة .. واما من علم
انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك .. وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه
او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا
لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره .. وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة
نبيه عليه السلام يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء .. ونزل مختلف عباراتهم

عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق .. وقد
اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها .. فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب .. وقد
حكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو
قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه
والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق واصحاب الراي .. وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن
في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره
سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن
لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه .. وحكي ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام
لم يستتب ويستتاب الاسلامي .. وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء .. وروي عن علي رضي
الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة .. وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه
قال ابو حنيفة .. قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء **واما** مدتها فمذهب الجمهور
وروي عن عمر رضي الله عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها .. وقد اختلف فيه عن عمر رضي الله
عنه وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس
عليه جماعة الناس **قال الشيخ** ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا .. وقال مالك ايضا الذي اخذ به في
المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل .. وقال ابو الحسن بن القصار
في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء
ثلاثا اصحاب الراي .. وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها
وقال الشافعي مرة ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني .. وقال الزهري يدعى الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى قتل .. وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين .. وقال النخعي يستتاب ابدا وبه
اخذ الثوري ما رجيت توبته .. وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث
جمع كل يوم او جمعة مرة .. وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت
عنقه .. واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا .. فقال مالك ما علمت في
الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره .. وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
ويعرض عليه الاسلام .. وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله
اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد
استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا .. قال ابن وهب عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي
ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه

خشوع التوبة. قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على
مذهب مالك والشافعي والكوفيين. فصل. قال القاضي رحمه الله: هذا حكم من ثبت عليه ذلك
بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم، فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف
من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا، وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه
وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق
في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته
وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه
امره. وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله. وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها
ردة فاذا تاب نكل. ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله
سحنون. وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل
احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته. وقال القابسي في مثل هذا
ومن كان اقصى امره القتل فعاق عن ذلك امر اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق. وقال في مثله ممن اشكل امره
يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه. وقال في مسألة اخرى مثلها
ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح. وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع
ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك
ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع
الظن صدقهما. وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد. فصل. قال القاضي
رحمه الله: هذا حكم المسلم. فاما الذمي فاذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي
كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا
ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل، ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن
يؤدب ويعزر. واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى: وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر الآية. ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ابن الاشرف
واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم
يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم. وايضا فان ذمتهم
لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم
فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به. ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد. وحكى ابو المصعب الخلاف

فيها عن اصحابه المدنيين. واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما
قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من
اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط
ما قبله. قال الله تعالى: قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما
ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء. وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق
للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف. واذا كنا لا
نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى. قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبيا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل
الا ان يسلم. وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم
فذلك له توبة. وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من
النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب. وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر. وقد روى ابن وهب عن ابن عمر
ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه. وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي
قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم
على مثله. واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله ونحو هذا فيقتل.
قال ابن القاسم: واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح
او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل.
واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب. قال
ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا. وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول
للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه
من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم. قال محمد بن سحنون
فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على
ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره
لسب نبينا عليه السلام. قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا
ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل
كذلك لا تحصنه الذمة. قال القاضي ابو الفضل رحمه الله: ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف
لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله. ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في
ذلك ما حكاه ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه
فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب. وسئل

وسئل أبو المصعب عن نصراني قال: عيسى خلق محمدا، فقال: يقتل. وقال ابن القاسم: سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال: مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة، ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه، لو قتلوه استراح منه الناس. قال مالك: أرى أن تضرب عنقه. قال: ولقد كدت أن لا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت. قال ابن كنانة في المبسوطة: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار، وإن شاء قتله ثم حرق جثته، وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه. ولقد كتب إلى مالك من مصر، وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة، قال: فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وتضرب عنقه، فكتبت ثم قلت: يا أبا عبد الله، وأكتب: ثم يحرق بالنار؟ فقال: إنه لحقيق بذلك، وما أولاه به. فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه، ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق. وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة، وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها. قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب. وقال أبو القاسم ابن الجلاب في كتابه: من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب. وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه. وقال ابن سحنون: وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه، وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله، فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره، فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف، ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره، أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين؟ فتأمله.

فصل في ميراث من قتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق. وقال أصبغ: ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرا بذلك، وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب. قال أبو الحسن القابسي: إن قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره، يعني لورثته، والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء. وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو حده، وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام. ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار. وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع، وهو مثل قول أصبغ. وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله، ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله. قال ابن القاسم: وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه. وقاله أصبغ، قتل على ذلك أو مات عليه. وقال أبو محمد بن أبي زيد: وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه، فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث. وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل: إنه لا يصلى عليه. وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين. وقال بقول مالك إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى، واختلف فيه عن أحمد. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث وإسحاق وأبو حنيفة: يرثه ورثته من المسلمين. وقيل: ذلك فيما كسبه قبل ارتداده، وما كسبه في ارتداده فللمسلمين. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله: وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن، وهو على رأي أصبغ، وخلاف قول سحنون. واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق؛ فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة. وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته، وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه. وقال به أيضا جماعة من أصحابه، وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون. وذهب ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث، وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث. قال: وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام. وسئل أبو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل، هل يرثه أهل دينه أم المسلمون؟ فأجاب أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين، ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد. هذا معنى قوله واختصاره. والله الموفق للصواب.

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله: لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم. واختلف في استتابته، فقال ابن القاسم في المبسوطة وفي كتاب ابن سحنون ومحمد، ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى: من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب، وإن لم يظهره لم يستتب. وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله. وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم: لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب، وكذلك اليهودي والنصراني، فإن تابوا قبل منهم، وإن لم يتوبوا قتلوا، ولا بد من الاستتابة، وذلك كله كالردة. وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب. وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال: إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني، فقال: يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره، وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور. واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه، وكان ضيق الصدر كثير التبرم، وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض: لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله. فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح. وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم

وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي. فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة
لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة
للاسلام. ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه مثل هذا بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه
لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته. واذا
انتقل من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك به. وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء. وهو
مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله. **فصل** واما من اضاف الى الله
تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد
والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده. واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا
فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك
القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين
توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ. وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون
وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده
وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا. وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى
يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم. وقال مثله ايضا ابن القاسم
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه. ومثله
في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قال
وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
استتيب فان تاب والا قتل. وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة. وقد روي ايضا عن سحنون فيمن قال ليس لله كلام انه كافر. واختلفت الروايات عن
مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم. وقد شوور في زواج
القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك. وروي عنه ايضا اهل
الاهواء كلهم كفار. وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر
قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه. وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه. وقال ايضا في
رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب. وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته. **قال** القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من
ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف في اعادة

الصلاة خلفهم. وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدرية واكثر اقوال السلف تكفيرهم
ممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك و
الأودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم وهو من قول اكثر
المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول. وممن روي
عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو قول جماعة
من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم. **قال** اسماعيل القاضي
وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض
كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله. وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا
وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد. وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد
يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة والله الموفق للصواب

فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى
كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد
المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين
ونحكم لهم باحكامهم. ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره. قال وهو قول
جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام. واضطرب آخرون
في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده. واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه
والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا (المعوصات)
باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه. واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه فيها
ابن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم
ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد. وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم
من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين. واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل. وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود
الباري. وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به
وهو كافر. ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة
فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين
وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين

الوعيد من خص واحتجا في قوله انه كان هو من اصحابه بعد مجمعة من منسلم ولحين وفي
قال عليه السلام فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله، فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه، والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معترضة للتاويل فما جاء منها في
التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعن
عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء، فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر واشراك دون اشراك، وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير ذلك من المعاصي، واذا كان
محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع، وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة من
قال انهم فيقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان، وقال لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد، وظاهر هذا
الكفر لاسيما مع تشبيههم بعاد، فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم
عن المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هاهنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره، ويعارضه بقول خالد
في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي، فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون
القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لا يدخل في قلوبهم، وكذلك قوله يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه، وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه
لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الاخر ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفقهون معانيه بقلوبهم ولا
ينشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم، وعارضهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله، وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل يخرج من هذه الامة، وتحرير ابي سعيد رضي الله عنه
الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخر بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم
في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون في امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم
من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم
في الرواية، هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة، ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة
سخيفة، اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك، وقال ابو الهذيل ان كل
متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر، وكل من اثبت شيئا
قديما لا يقال له الله فهو كافر، وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو
من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو

فهو مخطئ غير كافر، وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول
الدين فيما كان عرضة للتاويل، وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول الدين في واحد
والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره، وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله
عن داود الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع
في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم، وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة
والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال
وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا
من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك، قال القاضي ابو بكر لان
التوقيف والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك
فيه لا يقع الا من كافر.

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما
يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه، والفصل البين
في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار
او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب،
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض، وكذلك من
اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم او انه محدث او مصور او
ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما
غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع من المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين، وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته
او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة، وكذلك نقطع
على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ
الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها، وكذلك
من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان
المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة، وان كان
بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم، وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة
نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه

أو لم يرَ علما فهو كافر بإجماع كالفلاسفة وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب
الإباحة، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون
من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطا
بها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم
فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا
به. وكذلك من أضاف إلى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم
يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع
وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء
هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله. وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي
لأن وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به. وكذلك من ادعى نبوة
أحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده كالعيسوية من اليهود
القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الروا
فضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده. وكذلك كل إمام عند
هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباه
هؤلاء، ومن ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة الصوفية وعامة المتصوفة. وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه
يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي
صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلام أنه خاتم النبيين لا نبي بعدي، وأخبر عن الله أنه خاتم
النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به
دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا. وكذلك وقع
الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على
حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم. ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الإ
سلام من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال
كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك. وكذلك نقطع بتكفير كل قائل
قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع
الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه
في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن

وكفرت

القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم. وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر
الصحابة. ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
أنه عهد إلى علي وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله
وآله. وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإ
سلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعي إلى الكنائس
والبيع مع أهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر
وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام. وكذلك أجمع المسلمون على تكفير
كل من استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنى مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من
القرامطة وبعض غلاة المتصوفة. وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد
الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الإجماع المتصل
عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله علينا
في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه
القرآن نص جلي والخبر عن الرسول خبر واحد. وكذلك أجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج
إن الصلاة طرفي النهار، وعلى تكفير الباطنية في قولهم إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم
والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم. وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجا
هدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم
وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد
الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا ووهموا. فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل
عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر
الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها
هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال
هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن
صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد. والمرتاب في ذلك والمنكر بعد
البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق فيه، بل ظاهره التستر عن
التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري. وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما
نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به

او خالف الامة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرءان وانقلب عن المرتضى كتة ومن
قال هذا كافر. وكذلك من انكر القرءان او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والا
سماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة. كقول هشام
الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم
ولا محالة في كفرهما بذلك القول. وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السماوات والارض دليل على الله سبحانه لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرءان به. وكذلك
من انكر شيئا مما نص عليه بعد علمه انه من القرءان الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه
العلم به او لتجويز الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرءان
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه. وكذلك من انكر الجنة والنار والبعث
والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا.
وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب
معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلا
سفة. وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء. فاما من انكر
ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او موتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي
رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره
بجحد ذلك وانكار وقوع العلم به. اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة
الجمل ومحاربة علي من خالفه. فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع
فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة. فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع. فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير
كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما. وحجتهم قوله تعالى
ومن يشاقق من بعد ما تبين له الهدى الآية. وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد
خلع ربقة الاسلام من عنقه. وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع. وذهب آخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء. وذهب آخرون
الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه
بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع. قال القاضي ابو بكر القول عندي
ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي

الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر
فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى. والثاني ان ياتي فعلا او
يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي
الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم. او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن
معه العلم بالله. قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر
منسلخ من الايمان. فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في
ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة
له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها
وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر ولا يكفر المتاولين كما قدمناه. فاما
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ها هنا فكفره قوم وحكي ذلك عن ابي جعفر
الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة. وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم
الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا. وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق. واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله
عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير. وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي
اضل الله. ثم قال فغفر الله له. قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من
يعلمها الا الاقل. وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه
في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا. فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها. وقيل انما قال
ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به. وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد. وقيل
بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله
امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين. فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا
كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه
اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم. وكانهم
صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم. وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم. ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم. قال لانهم
اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا

وصنف منهم قالوا انه كفر من تقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف
الناس في اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب
ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم. وهذه كانت
سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال
من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم
هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب
كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله
الموفق للصواب. قال القاضي ابو الفضل واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق
وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في اكفار المتأولين فيها اوضح
اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها. وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى. فصل
هذا حكم المسلم الساب لله تعالى. واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في
ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب. وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب
محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفر به قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم الا ان يسلم. قال في المبسوطة طوعا. قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد. قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان
الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم. وقال المخزومي في المبسوطة
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل
وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك. وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي
به كفر قتل الا ان يسلم. وقد ذكرنا قول ابن الجلاب وقد ذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة
وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به الله
تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه
لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا
شيئا منه فهو نقض لعهدهم. واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن
عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر. وقال عبد الملك ابن الماجشون

ابن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية. قال ابن حبيب وما اعلم
من قاله غيره. فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته. فاما
مفتري الكذب عليه بتنبؤ ووضع بدعوى الالهية او الرسالة او نافي ان يكون الله خالقه
او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر
قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته
وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر منه ذلك وعرف استهانته بما اتى
به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا
نقبل رجوعه وحكم السكران حكم الصاحي. واما المجنون والمعتوه فما علم انه
قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه. وما فعله من ذلك في حال ميزه
وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال
ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض. وقد
حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية. وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي
وصلبه. وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم. واجمع علماء وقتهم على صواب
فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر. واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول
وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته. وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين
ابن ابي عمر المالكي. وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل. وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد
ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد. وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد
في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد. وقاله سحنون وغيره. وقاله اشهب في
يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل. وقال ابو محمد بن ابي زيد
فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره. وهذا
على القول الاخر في انه لا تقبل توبته. وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله
ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين. فصل
واما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف
بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه
وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه. وهذا كفر
لا مرية فيه. وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه. وقد افتى ابن حبيب واصبغ

ابن خليل من فقهائها في قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال
بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب
وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب. وأفتى
بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له
إنا إذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي
وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ
بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في
هذه القضية ووبخ بقية الفقهاء وسبهم. **وأما** من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة
الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة
حال قائلها وشرح سببها ومقارنها. وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه
لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه. **قال القاضي** أبو الفضل
رحمه الله وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد
إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله. وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في
هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره
ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه
الفصول. **وأما** ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب:

رب العباد ما لنا وما لكا ... قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنزل علينا الغيث لا أبا لكا ... ونحو هذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تأديب
الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن
العودة إلى مثله. قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الأمور. وقد
روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله
الكلب وفعل به كذا. قال وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في
غير قربة. **وحدثنا** الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله تعالى. وينزل الكلام في هذا
الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق للصواب.

فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو
أنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه. **قال الله** تعالى إن الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض الآية. وقال تعالى
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم. وقال كل

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله. قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد
وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل
ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم. وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي كفر به فاضرب عنقه إلا أن يسلم. وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل.
وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل. وقال سحنون
من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل. وفي النوادر عن مالك فيمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما
كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل. ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب. وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم
من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد. وقال أبو الحسن القابسي في
الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل. **قال القاضي** أبو
الفضل رحمه الله وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا
كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر
المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة
ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهم. **فأما** ما لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع
الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ومريم وآسية وخالد
ابن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم
في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم
ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وإن لم تثبت له نبوة. **وأما** إنكار
نبوتهم وإنكار كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وإن كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في
مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة.

فصل واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به
أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه
بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع. قال الله تعالى وإنه لكتاب عزيز لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. **حدثنا** الفقيه أبو الوليد
هشام بن أحمد رحمه الله قال نا أبو علي قال نا ابن عبد البر قال نا ابن عبد المؤمن قال نا ابن داسة قال نا أبو داود قال نا
ابن حنبل قال نا يزيد بن هارون قال نا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال. وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه. وكذلك إن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله

المنزلة أو كذب بها أو نفاها أو أثبتها أو استخف بها فهو كافر. وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو
في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين
إلى آخر قل أعوذ برب الناس كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه
حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه
المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر. ولهذا
رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل أي لأنه
كذب ما فيه. وقال ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن
مهدي. وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه إلا أن يتوب. وكذلك كل
من كذب بحرف منه. قال وكذلك إن شهد شاهد على من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر
عليه أنه قال إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم.
وقال أبو عثمان الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر. وكان أبو العالية
إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبراهيم فقال أراه قد سمع أنه
من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وقال عبد الله بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله ومن جحد
ه قتل. وقال أصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله. وقد سئل القابسي عمن خاصم رجلا فحلف له بالتوراة فقال له الآخر لعن
الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود
فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله
لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم. ولو اتفق الشاهدان على لعن
التوراة مجردا لضاق التأويل. وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين
المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا
عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة
سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري. وأفتى أبو محمد بن أبي زيد
بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن. قال أبو
محمد وأما من لعن المصحف فإنه يقتل. فصل: وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليهم السلام
وتنقصهم حرام ملعون فاعله. حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو
الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي
ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله
ابن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا

لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا. وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون
أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم
وعنه عليه السلام من سب أصحابي فاضربوه. وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم
وأذاهم يؤذيه وأذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد
آذاني. وقال لا تؤذوني في عائشة. وقال في فاطمة رضي الله عنها هي بضعة مني يؤذيني ما
آذاها. وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في هذا الاجتهاد والأدب الموجع
قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب. وقال أيضا من شتم أحدا من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا
على ضلال وكفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا. وقال ابن حبيب من
غلا من الشيعة إلى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي
بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل إلا في سب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عليا أو عثمان رضي الله عنهما أو غيرهما يوجع ضربا. وحكى أبو محمد بن أبي زيد
عن سحنون من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد. وروي عن مالك من سب أبا بكر رضي الله عنه جلد ومن
سب عائشة رضي الله عنها قتل. قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن. وقال ابن شعبان عنه
لأن الله تعالى يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر.
وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه
إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة. وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله عنها فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء. وهذا يشهد لقول مالك
في قتل من سب عائشة. ومعنى هذا والله أعلم أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه
وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان حكم مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه.
وشتم رجل عائشة بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن أبي ليلى
أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه إلى الحجامين. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نذر
قطع لسان عبيد الله عمه إذ شتم المقداد بن الأسود فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه
حتى لا يشتم أحد بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه. قال مالك من
انتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء

في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية، ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم
الآية، وهؤلاء الأنصار، ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان الآية، فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين، وفي كتاب ابن شعبان من قال
في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره، ولقوله عليه السلام من سب أصحابي فاجلدوه. قال ومن
قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا
قام بما يجب له، وإلا فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه. قال وليس هذا كحقوق غير
الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام
به. قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان أحدهما
أنه يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته، والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد
المفتري. قال وبالأول أقول. وروى أبو مصعب عن مالك من سب من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله
عليه وسلم. وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت
بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ما حلفت إلا بالنهار، وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه.
فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة الصديق في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل،
والفقيه الذي صوب قوله هو أخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل
فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى. وقال أبو عمران في رجل قال لو شهد
علي أبو بكر الصديق إن كان في مثل ما يجوز فيه شهادة الواحد فلا شيء عليه وإن كان في غيره
فقد سبه فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية. قال القاضي أبو الفضل رحمه
الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه، واستوفى الشرط الذي شرطناه
مما أرجو أن في كل قسم منه للمريد مقنعا، وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع، وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع، وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع،
وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه أو مقتدى يفيدنيه عن كتابه
أو فيه لأكتفي بما أرويه عما أرويه، وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه
والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره، وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من
شرف مصطفاه وأمين وحيه، وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله، وأعملنا فيه خواطرنا
من إبراز خصائصه ووسائله، ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه، ويجعلنا
ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه، ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
بأسبابه، وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه،
ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته، ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل

أهل شفاعته. ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم، وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه
وفهم، ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع، وعلم لا ينفع، وعمل لا يرفع، فهو الجواد الذي لا
يخيب من أمله، ولا ينتصر من خذله، ولا يرد دعوة القاصدين، ولا يصلح عمل المفسدين، وهو
حسبنا الله ونعم الوكيل.

كمل جميع كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله عليه وسلم بحمد الله تعالى وحسن تسهيله وعونه
على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي مغفرته والتوبة
إليه عبد هذا النبي الذي يرجو أن يغفر عثرته ويجبر زلته ويرحمه
في الدار الأخرى برحمته عبد ... بن قاسم بن ... ...
المشتهر بالتمام حامدا لله ومصليا على نبيه محمد المصطفى
وعلى آله وشرف وكرم وذلك في ... ... الله تعالى
في سادس عشر شعبان المكرم من عام ... وثمانمائة عرفنا
الله خيره وبركته ما ... والحمد لله وحده